السّرّ الكبير

الطبعة الأولى
1440 هـ
2018 م

اسم الكتاب: السر الكبير
التأليف: أحمد السّعيد مراد – سامية أحمد
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 112 صفحة
عدد الملازم: 7 ملازم
مقاس الكتاب: 17.5x12.5
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2018/0000000
الترقيم الدولي: 978-977-278-000-0

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

حكايا

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 - 01096476744

فيمتو بايت.. سلسلة مغامرات قصصية خيالية (٣)

السّرّ الكبيـر

أحمد السّعيد مراد
سامية أحمد

ملخّص ما سَبق:

رامي مِن أبرع وأقْوى قراصنة الإنْترنت، ورغمَ ذلك تمكّنتْ جهةٌ غيرُ معلومةٍ في اختراق جهازه وتعطيه تحدّيات لقياس قدراتِه على تَجاوز صعوبتها، وينجحُ فيها كلّها، وتأتيه هديةٌ غامضة لنَجاحه، عبارة عن جوالٍ عجيب غيرِ معلوم الهويّة، تنطلق منه موجاتٌ كهرومغناطيسية، هدفُها السيطرة على عقلِه بشكلٍ تام، ولكنْ بمساعدة شريف طالبِ الهندسة الشّجاع؛ يُمكنه الإفْلاتُ من هذه السيطرة، وتحاول تلك المنظمةُ الانتقامَ منه، ويذهب أبوه ضحيّة لهذه المحاولة، ويبقى رامي للإقامةِ عند شريف هربًا منهم، ويحاول الوصولَ إلى تلك المنظّمة عبْرَ قدْرته الفائقةِ في اختراق المواقع ليجدَ أنّ زعيمتهم ليست سوى فتاةٍ صغيرة مُقيمة بمصر!

والتي تهدّده مباشرة، ويحاول الإيقاعَ بها ولكنْ يطارده رجالُ المنظّمة الأقوياء، وفي النهاية يتمكّنون منْه ومنْ

شريف، ويلقونَ بهما في بئرِ أحدِ المصاعد الإلكترونية من الطابق الخامس عشر، ولكنْ بدلًا من أن تستقرّ جثثُهم بقاعِه إذا بهم يختفونَ تمامًا بعد حدوث وميضٍ غامض، وتكونُ المفأجاة باكتشافِ د. شيرين حامد أنّ خلايا شريف قد تغيّرت خصائصُها تمامًا بسبب تعرّضه للإشعاع الصّادر من ذلك الجوال الغامض، ممّا يوحي للدكتور محمد إسماعيل بنظريّةٍ غريبة تبرّر ذلك الاختفاءَ العجيب، وبينما هو يقوم بأبحاثِه عند بئرِ ذلك المصعد، إذا بشريف ورامي يبرزان له من العَدَم، ليقصّا عليهم ما حدث، ويتوافقُ مع نظرية د. إسماعيل، فمَع سقوطهما وتغيّر خصائص خلاياهما التي تعرّضت للإشْعاع الكهرومغناطيسي المنْبَعث من الجوال، فقد تمّ انتقالهم آنيًّا إلى الأراضي الأمريكية، ليقعا في عدّة مغامراتٍ غريبة كادت تقْضي عليهما، ووسط الأحداث اكتشفَ كلٌّ منهما نموَّ قدرات غريبة أخرى لديْهما، فشريف عند الإحساسِ بالخطر يمكنُه قراءة ما يدورُ بعقل مَن أمامه، ورامي عند ازديادِ خوفه يمكنُه تشغيلُ عقله كحاسوبٍ فائق، قدراتُه لا مثيلَ

لها، والذي نجحَ أحدُ الهاكر الصّهاينة في زرع فيروس كمبيوتر داخله، تمكّن من اختراقه، وعلم بأنّ هذا الحاسوب الفائق إنّما هو عقلُ رامي، ولكنْ كان ذلك بعد فوات الأوان، بعد أنْ نجح شريف في تخليصِه من هذا الفيروس، والنّجاة من الموت المحقّق والعودة برامي إلى حيث يقف د. إسماعيل ود. شيرين.

لمزيدٍ من التفاصيل بالعدديْن الأوّلين من سلسلة فيمتوبايت بعنوان: (أسطورة الموت والدمار) و(فجوة الأهوال).

***

كانت سيارةُ الأجرة تتهادى في قيظِ الصّيف وتكادُ جدرانها تتفكّك مع كلّ مطبٍّ تتجاوزه بارتفاع أزيز الصّاج من كلّ مكانٍ فيها، السّائق لم يكفِه اختناق الجوّ بالحرّ الفائق بانْعدام نسمةِ هواءٍ واحدة عابرة، فوضعُ مشاركته في جعله أكثرَ صعوبة بنفثِ الدّخان من فمِه بين الفينة والأخرى، الوجومُ والشحوب والصمتُ الكئيب يعمّ الجميع، وبينهم يجلس هوَ بجسده الضّئيل، ونظارته السميكة، وشعْرِه الكثيف المجعّد، كان ينفثُ حمماً من فمِه كمشاركة منه للسّائق في تأجيج جحيم السيارة، العرقُ الغزير يتصبّب منه، ولا يكاد يطيقُ نفسَه، انتفضَ بقوّة عندما هبطتْ قبضة قوية على كتفه من الخلف، وأحدُهم يقول له:

- فلتأخذْ أجرة اثنين من الخلف.

همّ أن يصيحَ فيه لائماً وموبّخًا، ولكنْ عندما رأى شاربه المفتول والمجدول وحاجبيْه الكثيفين ونظرتَه

القويّة؛ لم يتمالكْ إلّا الدّفع بابتسامةٍ شاحبة متردّدة على وجهه، وهو يقول:

– حاضر.

وتقاذفتِ الأموالُ نحوه من كلِّ صوْب، وكأنّما كان الجميع ينتظرون إشارةَ البدء هذه!

– أجرةُ ثلاثة، وهاتِ نصفين.

– أجرةُ أربعة، وهاتِ الباقي.

– نصفُ أجرة حتى أوّل التّرعة.

ورغمَ عبقرية رامي وقدرتِه العقلية الفائقة إلّا أنّه شعرَ بالحيرة والارتباك والعجز التّام عن كيفيّة تجميع تلك الأجرة وحسابها، فأخذَ يقلّب الأموال متعدّدة الفئات في يده، ويحاول الحساب، الأجرةُ قيمتها كذا مضروبةٌ في عدد كذا؛ تُصبح كذا، ولكنّ الأموال غير كافية، فيعيدُ العدّ من جديد، شَعَر المجاورُ له بحيرته فأخذَ منه الأموال وضبَطَها في ثوانٍ قائلًا:

– هذه أجرةُ ثلاثة، وتلك أجرةُ اثنين، يتبقّى اثنان ونصف.. ها هي، لا تحيّر نفسَك.

نظرَ رامي نحوَه بدهشةٍ وإعجاب كبيريْن، ما تلك العبقريةُ الفائقة والقدرةُ الخارقة على الحساب بقوانينَ حسابيةٍ جديدة، سيخرُّ لها أرشميدس راكعًا!

ظلّت السّيارة تقاتلُ وتكافح وتمرّ عبرَ مخاطرَ أيقنَ رامي بأنّه من المستحيل النّجاة منها، كان يهزّ رأسَه بأسى، لقد نَجا من الموتِ لأسبابٍ أكبرَ وأخطرَ من تلك بكثير، فهل سيقضي نحبَه لأجْل ركوب إحدى سيّارات الأجرة في مواصلةٍ داخلية إلى قريةٍ بإحدى محافظاتِ الدّلتا.

وأخيرًا توقّفت السّيارة ليهبطَ منها السّائق مبتسمًا وهو يمازحُ هذا وذاك كأنّما كان يتريّض في نزهةٍ خفيفة، بينما كان في عيني رامي كأنّما هو أحدُ روّاد الفضاء، وقد عادَ بعد الإفْلات من حزمة نيازك هادرة.

ضبطَ رامي حقيبتَه المعلّقة على ظهره، وأخذَ نفسًا عميقًا، ونظر نحو أحدِ كبار السّن بلحيتِه الشّهباء وجلستِه المستكينة، وتوجّه اليه ليبدأ مغامرةً جديدة يظنّ فيها النّجاة لنفسِه.

***

ابتسمَ شريف وهو يقول:

– ما زلتُ أشعر بأنّي في حلم كبير يدورُ حول أحدِ أفْلام الخيال العلمي، وحتمًا سأَستيقظُ منه بعْد قليل.

ابتسمَ د. محمد إسماعيل بحنان، ونظرَ إليْه بودّ، وقال:

– الكونُ مليء بالأسرار يا بنيّ، وقد قال لنا سبحانه في كتابِه العزيز بأنّنا لم نؤتَ من العلم إلّا قليلًا.

قال شريفُ باهتمام:

– بعد ما رأيت من قدْرتي الجديدة على قراءة الأفكار حين الشّعور بالخطر، وقدرة رامي على اسْتخدام عقلِه كحاسوبٍ خارق، أعتقد بأنّ نظريتك قد تكون حقيقيّة وهي التّفسير المنطقي لما نحنُ فيه الآن.

قام الدّكتور إسماعيل بحماسٍ إلى سبّورته، وقال:

– كانت نظرية آينشتين وتجربة فيلادليفيا تدور حول إخْفاء المدمّرة بمَن فيها بما يسمّى الحقل الكهرومغناطيسي الموحّد، رغم الجدلِ الكبير الذي دار حولها وتكذيب الكثيرين لها، إلّا أنّي التقطتُ

تلك الفكرة وقمتُ بعملِ أبحاثٍ حول تفكّك الجزيئات وانتقالها الآنيّ بشكلٍ كامل وسليم، باستخدام الموجات الكهرومغناطيسية، نلتُ الكثيرَ من التّسفيه وعدم الاهتمام، وتحمّستْ جهةٌ أمريكية لأبحاثي، ولستُ أدري كيف سمعوا عنها وقتَها، وتمّت مراسلتي للذّهاب إليْهم، ومنْحي كلّ ما أريد مقابلَ العمل المشترك على هذا البحْث، ولكنْ بعد أن علمت بأنّ القائم على تلك المراسلة شخصيةٌ صهيونية معروفة، تراجعت تمامًا، وأغلقت بابَ النقاش حولها، وللأسف انْدثرتْ دراساتي ونالها الركامُ كما ينالُ الكثيرَ من الأبحاث العلميّة الفائقة عندنا.

حتى وقعَ ما حدثَ لكما، وتحقّق ما ذهبت إليه بحذافيره، الموجاتُ الكهرومغناطيسية التي تعرّضت لها أنت ورامي من خلال ذلك الجوالِ الغريب، والإشعاع الذي نالَ من خلاياكما وغيَّر خصائصها، مع سرعةِ الانْطلاق وعجلة الجاذبية، تقوم بالنقل الآني بشكلٍ مُذْهل وكامل، ودونَ أضرار تُذكَر، العاملُ الوحيد الذي كان ينقصُ أبحاثي هو تسارعُ

عجلة الجاذبية، لو استخدمتُه لكنتُ توصّلت للنتيجة المبْهِرة منذ حين، وسبحان الله تحدث معكُما بالصّدفة، ومرّتين للتأكيد على أثرها، ويكون لي علمٌ بذلك، إنها إرادة الله حقًّا.

قال شريفُ بتردّد:

– هل أنتَ متأكّد من انعدام تلك الأضرار يا دكتور؟

توقّف الدكتور إسماعيل هنيهة، وقال:

– حتى الآن نعمْ، ولكنّ مخاوفك تُحتَرَم، يجبُ عمل الفحوص التي تنفي تلك الأضرار.

شعرَ شريف بالحبور لاهتمامِ أستاذه بمخاوفه، وقال:

– حسنًا، كان هذا عنِ الانتقال، ماذا عنِ تلك القدرات العجيبة التي فزنا بها؟

ابتسمَ الرّجل، وقال بحبور:

– ذلك هو الجديدُ الذي نحنُ بصددِ دراستِه الآن، وإنْ كنتُ أراه مرتبطًا بنسبة إفراز الأدرينالين مع

خصائص خلاياكُما الجديدة، وقدراتكما العقلية التي تميّزتم بها من قبل.

قال شريفُ باهتمام:

– هل تعني أنّها يمكن تنشيطُها إذا تعاطيْنا عقار الأدرينالين؟

– عقار الأدرينالين لا يُمكن تعاطيه هكذا بسهولة، فجرعةٌ خاطئة منه قدْ تودي بحياة صاحبها، والله أعلمُ ما هي النّسبة التي يتمّ إفرازُها لكي يتمّ تنشيط القدرات لديْكم.

تنحْنَح د. بدر الدين غازي أخيرًا، وقال:

– رائع، لقد استمتعتُ جدًّا بنقاشِكما العلمي الفائقِ هذا، وإن كان لي نظرةٌ بعيدة ومهمّة جدًّا الآن، تفسيرِ ما حدث حتمًا مفيدٌ حتّى يُمكننا تقْنين ما هو آت، ولكنْ يجبُ الحفاظُ على المستقبل أولًا.

نظرَ نحوه د. إسماعيل باهتمام قائلًا:

– وما الذي يتهدّد المستقبل؟

– لقد تناسيْنا أو نسينا تمامًا أمرَ المنظّمة المجهولة التي تسبّبت في كلّ ذلك، إنْ كان ظنّهم بالقضاء على رامي

وشريف يوقف خطرَهم إلى حين، ولكنْ حتمًا سيظهرُ لهم بأيّ طريقة فشلَ ذلك، وأنّ رامي وشريف ما زالا حيّين يرزقان وقد علِما الكثيرَ ممّا يجب إخفاؤه، فما العملُ وقتها؟ فالخطرُ ما زال قائمًا.

تنهّد الدكتور إسماعيل، وقال:

– قولُك حقّ وصِدْق، يجبُ رفعُ هذا الخطر أولًا حتّى يمكننا العملُ على أبحاثنا بشكل كاملٍ قد يتطلّب الكثيرَ من الدّعم.

قال شريفُ باهتمام:

– وكيفَ يُمكن القضاءُ على خطرِ تلك المنظّمة، والشّرطةُ رفضت روايتَنا حول مقتل والد رامي، وبالتالي لنْ يقتنعوا أبدًا بما نقصّه عن منظمةٍ لا نملكُ دليلًا حتى على وجودها؟ وبالطّبع لا يمكننا بجهودنِا الذّاتية فعل ذلك!

أشارَ د. بدر بأصبعه قائلًا:

– لنْ يكون ذلك إلّا باسْتكمال ما كنّا بصدده قبل اختفائكما، نحن الآن نملكُ الوقت والتّركيز والهدوءَ

للتّخطيط المسبَق له، فذلك أفضلُ بكثيرٍ منْ وضْعنا في خانة ردّ الفعل كما كنّا سابقًا.

قال شريفُ بألم:

– وهل يُمكن ذلك دونَ رامي؟

ابتسمَ د. إسماعيل بهدوء، وقال:

– التّخطيط الجيّد يشمل معالجةَ طبيعة رامي بالشّكل الذي تستحقّه.

– وكيفَ ذلك؟

– فلنبدأ بدراسةِ المعْطيات وتحديد الأهداف ورسم مخطّطات القادم الآن.

***

تناولَ رامي الرّشفةَ الأخيرة من كوبِ الشّاي معبّق الرائحة، وابتسمَ بحبور قائلًا لزوجة عمّه:

– أشكرُك جزيلَ الشّكر يا عمّة على هذا الشّاي الرائع.

ابتسمتْ زوجة عمّه بحنان قائلة:

– بالهناء والشّفاء يا ولدي.

تنحنَحَ عمّه قائلًا:

– والآنَ يا رامي يا ولدي، وبعد أسبوع من إقامتك التي نسعدُ جميعنا بها، ما الذي تنوي عليه؟ حتمًا لن تظلّ ماكثًا في البيت هكذا دائمًا، الحياة لا تتوقّف بعد وفاة أيّ إنسانٍ مهْما كانت قيمتُه، ووالدُك، عليه رحمة الله، سيسعدُ في قبره بنجاحك في حياتك.

قال رامي بتردّد:

– ولكنْ يا عمّي لا يمكنني الذّهابُ إلى القاهرة مرّة أخرى.

– ولا نحنُ نوافقُ على عودتك إليها، فطوالَ أسبوعين كاملين كنّا نبحثُ عنْك، ولم نجدْ لك أثرًا بها، ولم يعدْ لك أقرباء هناك.

– هل يمكنُ سحْبُ أوراقي لاسْتكمال دراسة الثانوية هنا؟

– رائع، هذا هو عينُ العقل، أنْ تعودَ لمذاكرتك وتتفوّق فيها، بإذنِ الله نذهبُ معًا لسحْبِ ملفّك من هناك.

قال رامي بتردّد وخوف:

- هل يمكنُك الذّهاب وحدَك يا عمّي؟

- ممّ تخافُ يا ولدي؟ لا تقلق؛ سأكون برفْقتِك في كلّ خطوة، والأمرُ لن يتعدّى سويْعات ونعودُ بملفّك إنْ شاء الله، لا بدّ من وجودك معي؛ فليسَ معي أوراق حضانة رسميّة لك.

ابتلعَ رامي ريقَه بصعوبة، وقال:

- حسنًا يا عمّي، كما ترى.

عاد العمّ بظهره للخلف قائلًا:

- على بركة الله، فليكنْ صباح الغد، فخيْرُ البرّ عاجلُه.

***

- كيف هذا؟ لقد كان مسجّلًا هنا بالمدرسة، وكان من النّاجحين بالصفّ الثاني الثانوي!

هتفَ بها عمّ رامي بقوّة، وهو يردّ على موظّفة شئون الطلّاب التي قالت بتردّد:

- والله يا حاجّ لا يوجد له أيّ اسم في ملفّاتنا كلّها.

نظرَ العمّ لرامي بتردّد قائلًا:

– هل أنتَ متأكّد يا بني أنّ هذه هي مدرستك؟

لوهلةٍ تشكّك رامي في ذاكرته، ولكنّه لمح أحدَ أساتذته يمرّ أمامه، فنادى عليه، فجاءَ أستاذُه نحوه فرحًا مرحّبًا به، وهو يقول:

– أهلًا بك يا رامي.

فقال له رامي بفرحة:

– ألم أكنْ معك بالفضْل أستاذي؟

– بالطّبع يا ولدي.

أشار عمّ رامي نحوَ المدرّس وهو يقول للموظّفة:

– ما رأيُك الآن؟

احْتارت الموظّفة، وقالت:

– حتمًا هناك خطأ ما، حسنًا فتأتِ مرّة ثانية بعدَ يومين، قد تظهر نتيجةُ بحثي عنه وقتَها.

انصرفَ رامي برفقةِ عمّه بعد أن هدّد الموظّفة بالشكوى إلى أكبرِ جهةٍ إن لم تجدْ ملفَّ رامي في المدّة التي حدّدتْها هي بنفسِها، وبينما هما يجلسان على الأريكة

المخصّصة بمحطّة انتظارِ الحافلات، إذا بصبيّ صغيرٍ يقفُ أمام رامي، ويقول له:

– أنتَ رامي؟

أومأ رامي رأسَه أنْ نعَم، وهو يشعرُ بالدّهشة كيف تعرّفه هذا الصبيّ رثّ الثياب، والذي يظهرُ عليه أنّه أحدُ المشرّدين أو المتسوّلين بالمنطقة.

ولكنّ دهشتَه تصاعدتْ للذّروة عندما مدّ الصّبي يدَه إليه بوريْقَةٍ مقوّاة، وقال له:

– تفضّل.

همّ رامي أنْ يسأله عمّا بالورقة المثنيّة طبقتيْن، وكيف تعرّفه، ولكنّ عمّه قال له:

– ماذا هناك يا رامي؟

فقالَ رامي بحيرة:

– لستُ أدري هذا الصبيّ أعطاني...

وارتفعَ حاجباه دهشةً عندما لم يجدْ أثرًا للصّبي أمامه، وقال:

– لقد كان هنا الآن!

فقال عمّه بتحفّز، وهوَ يهمّ بالوقوف:

– نعمْ، لقد انطلق مسرعًا بهذا الاتجاه، هل أخذَ منْك شيئًا؟

نظرَ رامي إلى الوريْقة بدهشةٍ، وقال:

– لا بالعكس، لقد أعطاني هذه؟

– ماذا بها؟!

مِن كثرةِ ما لاقي رامي من عجائب سابقًا كان يفضّل التخلّص منها وعدمَ معرفة ما بها، فقد قرّر عدمَ الانغماس في أيّ شيء عجيب بعد الآن مهْما كان، ولكنّ فضولَه الشديد، وسؤالَ عمّه دفعاه لفتحِها وقراءة ما بها، وليتَه ما فعل!

***

كان رامي يدورُ كأسدٍ حبيس في قفصه، وذلك بالغرفة التي خصّصها له عمّه، أفلتتْ منه دمعتان، وجلس ممسكًا برأسه التي تكادُ تنفجر.

بعد عودتِه العجيبة من الأراضي الأمريكية، لم يكنْ مصدّقًا لما يحدث، وبأنّه بدلًا من أن يتمّ سحقه

بعد سقوطه مِن أعالى السّحاب على يدِ ذلك القاتل المجنون؛ إذا به يقفُ أمام د. شيرين ود. إسماعيل، وفي مصر!

وقتَها، كان يهزّ رأسَه بعنف، ويشدّ جلدَه، ويوخز نفسَه بقوّة وهو يصرخ قائلًا:

- كفَى هكذا، أريدُ الاستيقاظ الآن، لقد طال أمدُ هذا الحلم السّخيف.

وظلّ يتقافز ويصرخُ بكلام كثير لا معنى له، حتّى احتضنه د. إسماعيل ليتركَه يُفرِّغ شحنتَه كلّها باكيًا على صدْره، وعندما نالَ منه الهدوء، لزم الصمتُ التّام كأنّه أصابه الخرس، ولم يعرْ مناقشاتهم العلميّة السّخيفة أيّ بال، لم يعدْ يعنيه أيّ شيء من خيالٍ علمي وقدرات عجيبة منحَها الله له، ما يهمّه الآن هو العودةُ للهدوء والطمأنينة وعدم التعرّض لأيّ خطرٍ مهْما كان، هو مستعدّ للتّنازل عن أيّ شيء، وكلّ شيء مقابلَ أن ينعمَ بما كان فيه من أمنٍ وأمان.

ولهذا كان شرودُه في البحث عن كيفيّة العودة لما يريد، ولم يجدْ إلّا الهروبَ من شريف وعلمائه المجانين،

والذّهاب إلى أقصى مكانٍ لا يمكنهم الوصولُ إليه فيه، ولم يجدْ أفضل من بيتِ عمّه الريفي، والذي لا يعرفان عنه شيئًا، شكرهُم جميعًا على ما فعلوا لأجله، واعتذرَ لشريف قائلًا:

– معذرةً يا شريف، رجاءً لا تبحث عنّي، ولتسْعَ تمامًا لنسياني.

نظرَ شريف نحوه بعُمق، ولعلْمِه بمدَى الرّعب والخوف اللّذيْن مرّ بهما رامي بما يخالف طبيعتَه الانطوائية والجبانة؛ لم يشأ الضغطَ عليه، فاحتضنه وقال:

– أنتَ أخي يا رامي، وستجدُني هنا حينَ الحاجة، وفي الوقت الذي يناسبك أنت.

ابتسمَ رامي بمرارة، ولم ينطقْ بالجُملة التي على لسانه، وقال له شكرًا، وبينما هو يخرج من عندِه ألقى بالقُصاصة التي فيها أرقامُ جوّاله هو وأستاذيه، لتحملها نسماتُ الهواء بعيدًا إلى أحدِ أرْكان الشّارع الذي يسير فيه بسرعة زاعمًا الهروبَ من شريف، الذي لم يرَ برفقته إلّا كلّ عناءٍ وتعبٍ وخطر!

مرّ أسبوعٌ عليه ببيتِ عمّه، وجدَ الرّاحة التي ينشدُها، والهدوء الذي يبحثُ عنه، ولكن..

ها هوَ الخطرُ يعود إليه مخرجًا له لسانَه، كأنما يقول له:

– لن تذهبَ بعيدًا عنّي مهْما فعلت.

ما زالتِ الجُملة القصيرةُ المكتوبة على الوريْقة التي منَحَها إيّاه الصّبي المشرّد، ما زالت تتألّق أمامَه كأنّما هي منقوشةٌ بثَبات على مخيّلته وذاكرتِه، فقد كان مكتوبًا بها:

.. ((عينُ القطّ تراك أينما ذهبت))..

لم يفهمْ عمّه معنى الجُملة التي كان يراها عبثيّة ولا معنى لها، ولكنّ رامي فهمَ معناها جيدًا، فكلّ ما حدث له إنّما كان بسبب (عين القطّ) تلك.

فهذا لقبُ الفتاةِ الجريئة، والتي ويا للْعجب صغيرةُ السنّ، ولكنْ على رأس مؤسّسة عالمية قويّة حتمًا، لها أغراضٌ خبيثة، وتُدير مؤامراتٍ شتّى تستهدف عباقرةَ الشّباب المصري إن لم يكنِ العربي كلّه!

سابقًا، كان يظنّ ذلك خبلًا وجنونًا من شريف وأستاذيْه، ولكنْ في المرّة الأخيرة، وبعد أن ضربَ لها موعدًا في المجمع التجاري، ظنّ هو وشريف أنّهما يديران الأمرَ جيدًا وبأمان، ولكنّها كانت أذْكى منْهما، فقد اختفتْ وبعثت مَن يجذبهما لموعدٍ جديد أوْدى بهما إلى موتهما في بئرِ مصْعَد إحْدى العمارات التي كانتْ تحت الإنشاء، ولولا ذلك السّحر الذي نقلَهُما إلى الأراضي الأمريكيّة بدلًا من الموت، لكانَ ما تبقّى من جسديْهما يستقرّ الآن داخلَ القبور!

إذًا هذه المؤسّسة حقّ وخطرٌ واقع، ظنّ نفسَه قد نجا منْه، ولكنْ ها هي عينُ القطّ تطاردُه وحدَه!

ترى ماذا فعلت بشريف الآن؟

هل يتّصل به ليسائله؟

هل يستعينُ به ليعرفَ منه ماذا يجبُ عليه، الآن بعد أنْ جاءه هذا التّهديد المباشر؟

ماذا كانت تقصدُ بأنها تراقبُه؟

إذا كانتْ تريدُ قتلَه فلِمَ لمْ تفعل مباشرةً دون الدّخول في هذه التّرهات؟

ما الصّواب الآن؟

هل يهمل ذلك التهديد؟

ولكنْ هكذا سيظلّ منتظرًا الرّصاصة التي لا يعلم مِن أين ستأتيه!

سيظلّ الخوفُ والرّعب يتملّكانه بقوّة، ولنْ ينعمَ أبدًا بالطّمأنينة والأمن اللّذيْن يبحث عنْهما، وهجر شريف لأجلهما.

كيف توصّلت عينُ القطّ إليه بهذه السرعة؟!

لقد كانَ هو المهيْمنَ على جهازها بالملفّ الذي زرعَه فيه بمنْتهى العبقرية، وبطريقةٍ تجعلها لا تتمكّن مِن حذْفه، فحتّى اللحظةُ الأخيرة كان هو السيدَ داخل الإنترنت، وكانت هي القائدةَ على أرض الواقع بما لديها من رجالٍ وعتاد.

برقتْ عيناه وهو يصل إلى هذه القناعة..

نعمْ، لقد كان هو السيدَ دائمًا داخل الإنْترنت، لقد اخترقَ موقعَ المنظمة ووصل إلى السّيرفر الرئيسي لهم، لقد عادَ إلى جهازها مرّة ثانية رغم تأمينِه، لقد

كان ذلك حينما كان يعمل عبْرَ أجهزةٍ عادية، فكيف سيكونُ الأمرُ وداخلَ عقله جهازُ كمبيوتر فائقٌ لا مثيلَ له، كان الخوفُ الذي يتملّكه بقوّة الآن حافزًا جيدًا ليستلقي على سريره، ويغمض عينيْه ليسعى إلى تشغيل أقْوى جهازٍ يمكن أن يعملَ عليه يومًا، الآن ستتغيّر المعادلة تمامًا.

***

في مخيّلة رامي، كانت شاشةٌ عملاقة يظهرُ عليها ما يتواردُ إلى تفكيره بشكلٍ مُذْهل، قام بالاتّصال بشبكة الإنترنت اللاسلكية الخاصّة بأبناء عمّه، وبسرعة وضعَ حاجبًا يمنع كشفَ رقم الآي بي الذي دخل منْه، فأصبحَ كأنما يستخدم إحْدى شبكات الإنترنت في نيوزلاند بأقْصى الأرض، وأخيرًا بدأ يبحثُ عن دلائل الملفّ الذي قام بزرْعه في جهاز عين القطّ، قرابة السّاعة يجول يمينًا ويسارًا بحثًا عنْه، وفجأة لمعَ أمامَه، كان من الواضح أنّ الجهازَ قد اتّصل توًّا بالإنْترنت أو تمّ فتحُه، لم يندفعْ إليْه بغباءٍ كما كان يفعل في كلّ مرّة سبَقَت، وإنّما أخذَ يجول حوله يدرس تحْصيناتِه، ابتسمَ

عندما وجدَها تستخدم مضادًّا للفيروسات في نسختِه الأصلية، وقد قامتْ بشرائه من شركتِه المنتجة له، وليس مجرّد نسخةٍ مجانية أو نسخةٍ تعمل برقمٍ تسلسليّ مزيّف، من الواضح أنّها تعلّمت من التّجربتين السّابقتين، في الأحوالِ العادية كان ذلك كفيلًا بمنْعه من اختراق جهازها، ولكنْ مع إمكاناتِه الخارقة الآنَ فلنْ يوقفَه ذلك، لقد دخل إلى شفرةِ وكودِ تصميم البرنامج المضادّ للفيروسات على موقعِه الرّسمي ووضعَ تحديثًا للبرنامج يشملُ استثنائه بأكْواده الخاصّة، وبالتّالي مضادّ الفيروسات سيراه شيئًا عاديًّا، وليس برنامجَ اختراق، وعلى الفوْر ذهب إلى جهازها وهو يدعو أنْ تكون قد قامت بتفعيل التّحديث التّلقائي لمضادّ الفيروسات، وابتسمَ عندما انْدفعت أكوادُه الخاصّة إلى جهازها كتحديثٍ تلقائيّ للبرنامج، الآن الأرضُ موسّدة ليخطو إليها بقدميْه، بحذرٍ شديدٍ تقدّم إليها وهو يقوم بالفحْص الشديد حتّى لا يكون هناك برنامجٌ خفيٌّ مخصّص لاصطياده، ولم يجد.

الآنَ، هو مستقرّ بجهازها، يجول ويتريّض فيه كما يشاء، والعجيبُ أنّه ما زال كما هو لا جديد به سوى أنّها قد قامتْ بتغيير نسخة الويندوز إلى نسخةٍ أرقى وأكبر، وأعدّت له مضادّ الفيروسات الأصلي هذا، وعَدَا ذلك فكلّ البرامج والمكوّنات كما هي، كادَ يفتحُ الكاميرا ليراها، ولكنْ توقّف وتساءل:

– ما الهدف من فتح الكاميرا؟

فهو يعلمُ كيف تبدو، وما هي ملامحها، ما يهمّه الآن أن يرى ما يدورُ على جهازها، وما تفعلُ عليه أثناء جلستِها هذه، ولهذا قام بشكلٍ خفيّ بإعدادِ برنامج يقوم بتسجيل سطح المكتب للجهاز، يشبهُ تلك البرامج التي يتمّ تسجيل الفيديوهاتِ التعليمية بها، وتنتشرُ بكثافةٍ على اليوتيوب، وبعد أنْ أتمّ إعداده قامَ بالاتّصال به ليبثّ إليه ما يتمّ تسجيله، الآنَ هو يرى كلّ ما يظهرُ على شاشتها كأنّما يجلس بجوارها، والأكبرُ من ذلك فقدْ تمّ تفعيلُ التّسجيل الصّوتي، الآن هو يرى جهازَها، ويسمع كلّ صوتٍ ينطلق في الغرفة التي تجلسُ بها، الآن سيصلُ إلى أدقّ أسرارها.

ولكنْ بدلًا من أن يكشفَ مؤامراتها أصابتْه بحيرةٍ مبالغة، فقد كانت تلعبُ لعبةً ساذجة لا يعرفُها إلّا الفتيات، وصوتُ أحد الشيوخ ينطلق بقراءةِ القرآن الكريم بصوتِه العذب الجميل!

ما هذا؟!

هل هذه زعيمةُ مجموعةٍ من القتلة المحترفين؟!

هل مِن المُمْكِن أن تكون داعشيّة، وتظنّ أنّ القتل والمؤامرات هذه إنّما هي عبادة لله!؟

شعرَ بحيرةٍ عُظمى، واختلّت كلّ موازينه؛ لهذا قرّر المراقبة التّامة والدائمةَ لها حتى يصل لكلّ أسرارها.

ظلّت تلعب، وبعد قليلٍ سمعها تردّ قائلة:

- حاضرْ يا عمّتي، أنا قادمة.

سمع صوتَ خطواتها وصوتَ إغلاقِ بابِ الغرفة، الآن هي حتمًا تركتِ الجهاز وخرجت، يمكنُه فتح كلّ شيء فيه دون أن تدري، همّ بأنْ يذهب إلى بريدها، ولكنْ فجأة انقطع اتّصالها.. كيف حدثَ ذلك وقد غادرت الغرفةَ منذ قليل!؟ هل عادت بصمتٍ لتغلقَه؟!

غالبًا هو حاسوبٌ محمول (لابتوب)، وقد أغلقتْ بابَه بسرعة بعدَ أن نادتها عمّتها، فأخذَ الحاسوب وقتًا قصيرًا حتّى تمّ إطفاء كلّ شيء فيه.

حسنًا، بينه وبينها وقتٌ طويل، وقد تملّك كلّ شيء يخصّها الآن، لن يندفعَ بأيّ تحرّك خارجيّ غبيّ كما حدث سابقًا، ابتسمَ عندما تذكّر بأنّها ردّت على عمّتها، فهي حتمًا تعيشُ عندها، وهو يعيش عند عمّه، فوضعُهما الآن متَشابه، هي زعيمةُ منظمةٍ داعشيّة عالميّة كبيرة، وهو أسطورةُ الموت الدمار!

ياه.. لقد اشتاقَ لهذا اللّقب؛ فقد نسيَه تمامًا بعدَ ما مرّ به من أهوال، وليشغل نفسَه حتّى تظهرَ عينُ القطّ مرّة أخرى، حاول الذّهاب إلى المواقع الكثيرة التي كان يحتلّها، ويرفع عليْها رايتَه الشّهيرة متذكّرًا أمجادَه السّابقة، ولكنْ فجأة اختلّت الصّورة في مخيّلته وتموّهَت وشعرَ بصداعٍ كبيرٍ اضطرّ ليهزّ رأسَه بقوّة، ويفتح عينيْه، ويقوم منتفضًا من سريره، يبدو أنّ القدرةَ العجيبة قد تسلّلت منه بعدَ أنِ استقرّت مشاعرُه، وذهب عنه الخوفُ الذي كان يعْتريه.

كيفَ سيعود الآنَ ليتابع عينَ القطّ!؟

حاولَ استجلابَ الخوف ليستدعي الحالةَ التي تمكّنه من استخدام قدْرته، ولكن لم يحدث شيء، ضربَ فخذَه بكفّه وهو يتحسّر أنْ ذهبت قدرتُه، ثمّ ضحك مباشرةً كأنّما قد جنّ عقلُه وهو يرى أنّ خوفَه هو ما يريدُه الآن بدلًا من الهروب منْه!

الخوفُ أثناءَ مصاحبة شريف أسلوبُ حياة، هل يعودُ إليه ليعيشَ معه في رعبٍ أبديّ يمنحه قدراتٍ خارقة؟!

لا.. لنْ يعود إليه أبدًا، ولا يريدُ تلك القدرةَ الخارقة إنْ كانت صحبة شريف هي الشّرطَ الأساسي لذلك.

نادى عمُّه عليه لوجبة الغداء، فردّ عليه بأنّه قادم، وبينما يتناولُ لقيماته تخيّل عينَ القطّ وهي تتناول لقيماتها في نفس الوقت.

ورغمًا عنه، حاول تذكّر ملامحِها الجميلة الرقيقة.

وابتسمَ بحرجٍ كأنّما شعر بها تنظرُ نحوه متسائلةً عن سرّ هذه النظرات.

***

مرّ يومان يحاولُ فيهما رامي اعتصارَ ذهنِه لمحاولة تشغيلِ الكمبيوتر الفائق داخل عقلِه، ولكنْ لم يفلح أبدًا، فالحياة الهادئةُ الجميلة التي يعيشها في بيت عمّه أزالتْ كلّ مخاوفه، وقد ذهب عمّه إلى القاهرة، وجاء بالملفّ بعد اتّصال الموظّفة به لتخبره أنها قد وجدتْه، والآنَ هو بمدرسةٍ ريفيّة جميلة، وفي بيتٍ يسودُه الودّ أقصى مشاكله هي بعض العصبية وعدم طاعة الصّغار لأوامر الكبار، ذهب مع ابن عمّه إلى التّرعة الكبيرة ليمارس بعضًا من صيدِ السّمك بسنّارته الجديدة، ورغم طبيعةِ رامي المتعجّلة إلّا أنّه تعلّم كيف يأتي الصّبر له بصيدٍ ثمين، وأخيرًا بعدَ خمسِ ساعات عادَ وهو يتمازح مع ابن عمّه ويتجادلان عن أيّهما قدِ اصطادَ سمكًا أكبر، وبينما يدخلُ من باب البيت وضحكاتُه تتعالى، إذا بالضّحكة يتمّ بترُها ويبتلعُ ريقَه بصعوبة، وقدْ رآه جالسًا بالداخل يحتسي كوبًا من الشّاي برفقةِ عمّه بنفس هدوئه ورزانته في الحوار والحركات.

إنّه شريف!

كيف علمَ بعنوانه، وجاء إليه؟!

تقدّم وعيناه تتردّدان في حيرة، وبعض التوجّس مسلمًا عليه، وقائلًا بهمْس:

- كيف توصّلت إليّ؟!

احتضنَه شريف بقوّة وهو يقول له:

- لقد أوحشتني جدًّا يا رامي.

ثمّ همسَ في أذنه أثناءَ احتضانه قائلًا:

- أريدُك في حوارٍ هامّ وحدنا.

ارتبكَ رامي وهو لا يدري ماذا يفْعل، يريد أنْ يطردَ «شريف»، ويطلب منه عدمَ المجيء إليه مرّة أخرى، وأنْ يتناساه تمامًا كما طلبَ منه من قبْل، ولكنّ لهجةَ شريف توحي بخطورةِ وأهمّية الأمر، وحتمًا لن يبحثَ عنه ويأتي إليه إلّا إذا كان متعلقًا به، قال في باله (تبًّا لك يا شريف، لقد كدتُ أنْساك، وأنسى كلّ شيء عنك، وعنْ كلّ المخاطر والموت الذي يترصّدني معَكَ أينما ذهبنا معًا).

وبينما هو ينظرُ نحو عمّه الرّجل الريفي البسيط الذي تفهّم الأمرَ بفطنته وفطرته الطبيعية، فقامَ الرّجل وقال لرامي:

– خذْ صديقَك إلى غرفتك يا رامي، وسوف نعدّ الغداء، وننادي عليكما فوْرَ الانتهاء منْه.

أراحَه عمّه بمقولته هذه، فاضطرّ مذعنًا أن يصحبَ «شريف» إلى غرفته البسيطة، والتي أصبحتْ في نظر رامي قصرًا منيفًا لما بها من راحةٍ نفسية واطمئنان.

ما إنْ أغلق عليهما الباب حتى صرخَ رامي في شريف قائلًا:

– أستحلفُك بالله أنْ تدعَني وشأني، ألمْ أطلب منْك نسياني.

قال شريف بمرارة:

– لقد حاولتُ ذلك، ولكنْ حدث ما لا يُمكن السكوتُ عليه، وأخشى أنْ يداهمك الخطرُ هنا دونَ توقّع منك، لقد جئتُ فقط لتحذيرك.

اهتزّ وجدان رامي فوْرَ علمِه بأنّ هناك خطرًا يتربّصه، وقال:

– ماذا حدث؟

مدّ شريف يدَه داخل جيبه، وأخرج قصاصةً ورقيّة بنفس خصائص القصاصة التي جاءت لرامي عند

عودته من مدرسته في المرّة الأولى، وعندما فتحها كانتْ تحملُ نفسَ الجُملة وبنفْسِ الخطّ تمامًا، الجُملة التي تقول (عينُ القطّ تراقبك).

سأله رامي بخوف:

– متى جاءتك هذه الوريْقة؟

– بالأمسِ فقط.

ذهبَ رامي إلى أحدِ الأدْراج، وأخرج وريقتَه، ومدّها نحوه قائلًا:

– ها هي معي توأمها منذ أسبوع كامل.

أخذَ شريف الوريْقة منه، ووضعَها بجوار وريْقته ليقارن بينهما، فكانتا متماثلتان بشكلٍ مُذْهل، الآن حتمًا هُما من مصدرٍ واحد، ويبدو أنّ عينَ القطّ تراقبهما بالفعل.. ولكنْ لماذا، ولأيّ غرض؟!

فقال شريف بتردّد:

– ماذا يعني ذلك!؟ إذا كان بإمكانها الوصولُ إلينا، ومعرفة أماكننا بهذه الدّقة، وإذا كانتْ حاولت التخلّص منّا سابقًا وفشلت، ما الذي يمنعها الآن؟

قال رامي بخوف:

– الغريبُ أنّي عندما دخلتُ إلى جهازها مثل كلّ مرّة ينالني الذّهول، من المستحيل أن تكونَ عينُ القطّ هذه بتلك القوّة والدّهاء، أو أن تكون حتى زعيمةً لبعض الأطفال في لعبة كرة!

قال شريف باهتمام:

– هل دخلت إلى جهازها مجدّدًا؟

قال رامي بعصبية:

– نعمْ بعد تلقّي هذه الورقة شعرتُ بخوفٍ شديد استطعتُ استغلاله في تشغيل الكمبيوتر الفائق الذي أحتفظُ به داخلَ رأسي، ودخلتُ إلى جهازها لأجد طفلةً تلعب ألعابًا سخيفة، وبجوارها صوتُ أحدِ الشّيوخ يقرأ لها قرآنًا، ونادتْ عليها عمّتها لأجل الغداء، وبعدها زالتْ قدْرتي، ولم أستطعِ الدّخول مجددًا.

قال شريف وهو يفكّر:

– معنى عدم الهجوم أو التّهديد بعدها أنّك لم يتمّ الإمْساك بك مثل كلّ مرّة؟

قال رامي وهو يشيرُ نحو قصاصةِ شريف:

– وماذا تسمّي هذه؟

ارتبكَ شريف وقال:

– وريْقتي مثل وريْقتك، كانت قبل دخولك إلى جهازها، ولكنْ ربّما تأخّروا في الوصول إليّ.

قال رامي:

– المفترضُ العكس، فأنتَ بنفس عنوانك، وسهلٌ الوصولُ إليك، وأنا الذي اختفيت.

ارتبكَ شريف أكثر، وقال:

– أيًّا كان السّبب، ما رأيته أنتَ عجيبٌ جدًّا بالفعل، ولا أجدُ له تفسيرًا، زعيمة منظّمة دوليّة تأكّدنا من نواياها الشّريرة، هي مجرّد طفلة، وربّما متديّنة، كيف ذلك؟

قال رامي:

– ربّما تنتمي إلى داعش!

هزّ شريف رأسَه بحيرة، وقال:

– مُسْتبعد جدًّا، فليس هذا تخصّصهم ، فالغزو الإلكتروني والتّخطيط الاستراتيجي الكبير هذا يخصّ كيانًا يخالفُ كلّ ما يتميّزون به.

- إذًا، ما العمل الآن؟

اعتدلَ شريف في جلستِه، وقال باهتمام:

- إذا كنّا لا نجد عندها شيئًا، ما رأيك أنْ نذهب للجانب الآخر؟!

- أيّ جانب هذا؟

- هل يمكنُكَ اختراق السّيرفرات الخاصّة بالمنظّمة دون الإمساك بك بما لديك من قدرات هائلةٍ الآن؟

هزّ رامي رأسَه، وشردَ ببصرِه متفكّرًا، وقال:

- بالطّبع.. من الصّعب الدّخول إليها كما فعلْنا في المرّة السابقة، فلا توجد صفحات ولا ألعاب تتبعُهم ونعرفها، وبما أنّ جهازَ عين القطّ هذه أحدُ روافدِهم، وعليه اهتمامٌ كبيرٌ منْهم، فيُمكن التّسلّل إليهم عبْرَه، كلّ ما هنالك أنْ أستخدمَ جهازها كأني أنا الجالس عليه وليْست هي، وهذا من الصّعب جدًّا أنْ يتمّ دون علمها، فهي تطفئ جهازَها فوْرَ فراغِها منه، فكيف يمكن ذلك!؟

ابتسمَ رامي بظفر، ولمعت عيناه واستطردَ قائلًا:

- بنفْسِ الخُدْعة التي تمكّنوا بها منّي.

قال شريف في حماس:

- أثقُ بأنّك قد وجدت الحلّ.

- بالفعل.

- هل يمكنك الآن؟

ضحك رامي قائلًا:

صحبتُك تجلبُ الرّعب وليس الخوف، وبالطّبع يمكنني الآن.

جلسَ رامي على كرسيّه الوثير، وأغمضَ عينيه، وسرحَ ببصره على جهازه الفائق الذي لم يخذلْه، وعلى الفوْرِ قامَ ببرمجة لعبةٍ طفوليّة جميلة، وأخذ يبحثُ عن اتّصالٍ بعين القطّ، ولكنّها لم تكنْ جالسة الآن؛ سيضطرّ إلى انتظارها، ولكنْ قطعَ عمُّه ذلك الانتظار وهو ينادي عليه هو وصديقُه لأجل الغداء، فتح رامي عينيه وهو ساخطٌ على عمّه، فلن يضمنَ قدرتَه على الولوج بعد الغداء هذا، ولكنْ لا يمكنه الرفضُ الآن، بعد نصف ساعة من الأكْل السّريع والشّكر الجزيل من شريف لعمّه والإثناء على كرمه، عاد رامي ليجدَ أنّ

الجهاز ما زال طوعَ يديه، وهذه المرّة كانت عينُ القطّ تجلس على جهازها، ولكنْ تخطّ بريدًا عجيبًا يحمل جملةً واحدة تقول (اشتقتُ إليك وأتمنّى رؤياك)، يبدو أنّ الصغيرة واقعة في الحبّ، ترى مَن هذا الذي تراسله؟! نظرَ نحْو البريد المرسَل إليه، وحفظَه جانبًا ليرى ما فائدتُه بعد ذلك، المهمّ الآن أن يتمّم مهمّته الرئيسية، وبينما هي تنهي إرسالَ بريدها، أخرجَ لها رامي شاشةً منبثقةً تحملُ ألوانًا برّاقة، وتدعوها إلى لعبةٍ سريعة وخفيفة، ولم تخيّب ظنّه، فقد دخلت لتلعبَ اللّعبة التي أعجبتها، وظلّت عليها مرّة تلوَ الأخرى تحاول تحقيقَ النّصر فيها، والوصولَ إلى أعلى الدرجات، وبينما هي تفعلُ ذلك واللعبةُ تحتلّ كلّ شاشتِها، كان رامي يستخدمُ جهازها في الخلفيّة دون أن تدري وهو يبحثُ عن السيرفر العالمي، لقد رأى بعينيه الحمايةَ أو المتابعةَ الفائقة لجهازها، ويعلم طبيعتَها؛ لذا بأكوادٍ برمجيّة ذهبَ ليبحثَ بين ثنايا أكوادِ تشغيل جهازها عن خيوطِ تلك المتابعة، وأخيرًا وجدَها، وكما يجدُ خيطًا فيشدّه ويسحبه

إليه ليرى ما في نهايته، صعدَ رامي متتبّعًا هذا الخيطَ حتّى وجدَ السّيرفر، وعلم مكانَه الجديد، وأكواده كلّها بحمايته، ولأنّ الأمر مختلفٌ هذه المرّة؛ ولأنّ لديه إمكانات خارقة، ويعرف مُسبقًا ما هو مُقدِمٌ عليه، فقد توقّف ليدرسَ جميعَ أنواع الحماية، كانت الحمايةُ فائقةً بالفعل، أكثر من برنامج مضادّ للفيروسات، وأكثر من جدارٍ ناري، أخذ يُحصيها جميعًا، ويكتب أكوادًا لتجاوز كلّ منها، وظلّ يحومُ ليكتشف أيّ وسيلةِ حمايةٍ أخرى مُخفيةً عنه ولم يجدْ، دخل بتردّد إلى ملفّات السّيرفر، التي تمكّن منها كلّها، ذهبَ ليرى هل يوجد له نسخٌ احتياطيّ أم لا، فوجدَ أنّ هذا السّيرفر يقومُ بالنّسخ الاحتياطي إلى خمس سيرفرات أخرى، وذلك حتى إذا هوجِمَ أحدُهم يكون هناك خمسُ بدائل من الصّعب جدًّا اختراقها دفعةً واحدة، فيُمكنهم بذلك إعادةَ كلّ شيء في ثوانٍ، وهنا جاءت الفكرةُ البسيطة والعبقريّة إلى ذهن رامي، والتي تنهي كلّ شيء في ثوانٍ، قام أولًا بنسْخ كلّ شيء أمامه إلى جهازه، ثمّ ذهب إلى تلك الأجهزةِ الاحتياطية الخمس، وقام

باختراقها كلّها، والآن أمامَه السّيرفر الكبير بكلّ أجْهزته الاحتياطيّة مفتوحة، وفي نفسِ التّوقيت، وبمنتهى المهارةِ والسّرعة قام بحذف كلّ المكوّنات حذفًا نهائيًّا من السّيرفر والأجهزة الاحتياطية الخمس، وانطلق خارجًا ومسرعًا، وأغلق جهازَه وفتَحَ عينيه وهو يشهقُ بقوّة، ورغم رؤيته لشريف والبيت الهادئ إلّا أنّه كان يرتجفُ برعبٍ كبير، كان كمَن طعنَ أسدًا طعنةً قاتلة، ثمّ أوْلاه ظهرَه، ولا يدري هل ماتَ الأسدُ، أم أنّه فاتحٌ فكّيْه على اتّساعهما خلفه الآن، ترى هل نجحتْ خطّتُه وزالت كلّ بيانات هذه المنظّمة، وبهذا أجهز عليها تمامًا، أم أنّه كشف نفسَه إليهم بعد ظنّهم أنّه قد ذهبَ بلا رجعة؟!

لم تخفّ ارتعادتُه عن شريف الذي قال متسائلًا:

– ماذا حدث؟

قال رامي بكلماتٍ مُرتجفة ومتقطّعة، وهو يلهث:

– لقد قضيتُ عليهم تمامًا!

***

جذبَ شريف سنّارتَه بقوّة لتخرجَ له بسمكةٍ كبيرةِ الحجم، تعدّ هي الأكبرَ في ما تمّ اصْطيادُه من قبل، فهتفَ بفرحٍ وهو يضمّ قبضته ويرفعُها لأعلى قائلًا:

– الله أكبر.

نظرَ رامي نحوه مبتسمًا، ولكنْ مغتاظًا في نفس الوقت، لقد تقدّم عليه شريف كالعادة، فقال له:

– مجرّد حظّ.

نزع شريفُ السمكة من طرفِ السّنارة بحرص، وهي ما زالت تتلاعبُ وتقاوم، ووضعَها في الإناءِ المخصّص لها، وتأكّد من تغطيتِه جيدًا، ونظرَ نحو رامي مبتسمًا، وقال:

– حتمًا هي رزقٌ من الله، ولكنّ الأخذَ بالأسباب أهمُّ خطوات الحصول على الرّزق، لو نظرتَ إلى أعدائنا الصّهاينة فهُم يخطّطون لخمسين سنةٍ قادمة على الأقلّ، وكلّما تبدّل رئيس عندهم، مهْما كان اختلافُه مع سابقه، يحافظُ على الخطّة الموضوعة، ولكنْ يختلف الأسلوبُ فقط في تنْفيذها، ولأنهم أخذوا بالأسباب تقدّموا كثيرًا وانْتصروا علينا في كثيرٍ من المجالات بالفعل، ولهذا؛

التّخطيط الجيّد أهمُّ مرحلةٍ في مراحل الفوز، لقد كنت تسخرُ منّي بالأمس عندما ألقيت في هذا الموضع الكثيرَ من الطعوم دون محاولة الصّيد، ولكنْ ها هي النتيجة، لقد أصبحَتْ هذه المنطقة مسرحًا للغذاء بالنسبة للسّمك، ولهذا جاء الكبيرُ وليس الصغيرُ فقط، وكان هذا هو رزقي بما زرعتُ بالأمس ونتيجةً ما خطّطت له من قبل.

ضحكَ رامي عاليًا قائلًا:

- يا صلاة النّبي، إنها مجرّد سمكة ولا يهمّها أيّ تخطيط صهيوني، هل دائمًا هكذا تقلب كلّ الأمور البسيطة إلى مخطّطاتٍ عالمية خطيرة تحوم حولنا! هل تظنّ حقًّا أنّ هؤلاء العباقرة نحنُ نشغلهم أو نحتلّ أيّ جزءٍ بسيط من خريطة اهتمامهم!؟

همّ شريف أن يردّ عليه بأنه نفسه يهربُ معه من نتيجة إحدى تلك المخطّطات، ولكن تماسكَ وقرّرَ عدمَ الدّخول في جدالٍ معه، وقال:

- هل أنا مُثقِلٌ عليك أو على عمّك بمكثي معكَ تلك الأيام؟

ردّ رامي مسرعًا:

– مطلقًا، عمّي رجلٌ طيّب وكريم.

– وهذا ما دفَعني لطلب البقاءِ معَك، فكما قلتَ أنت سابقًا، أنا عنواني معلومٌ لهم، ومن السّهل الوصول إليّ، ولهذا فضّلت الاختباءَ هنا معكَ حتّى نرى نتيجةَ ما فعلت أنتَ بشكلٍ فرْدي.

شعرَ رامي بالغيظِ لمحاولة شريف تأنيبه مرّة أخرى على ما فعل، ألم يأتِ إليه خائفًا من هذه المنظّمة؟ الآن زال خطرُها تمامًا بما فعل، لقد مسح جميعَ بياناتهم، وبالتالي انْهار عملُهم، أيّ مشورة تلك التي كان يتشاورُها معه قبل فعله لذلك؟ وهل كان يضمن القدرةَ على الدّخول مرّة أخرى إذا خرج ليتشاورَ معه؟ فقال له:

– لقد فعلت الصوابَ يا شريف.

– حسنًا، حسنًا.. لا ضير، المهمّ أن تكون تحرّكاتُنا القادمة على حسب خطوات مدروسةٍ، ومتّفق عليها، هذا أفضلُ لنا.

– أيّ تحرّكات! لقد انتهى الأمرُ بالفعل، ثلاثةُ أيام مرّت، ولا يوجد أيّ ردّ فعل، هل تعتقدُ أنّهم لو يستطيعون شيئًا سيتأخّرون كلَّ ذلك؟

تنفّس شريف بهدوء، وشردَ قليلًا، ثمّ قال:

– ما أدراكَ بأنهم ليس لديهم نسخٌ احتياطيّ على قرصٍ صُلب خارجي، ويمكنهم إعادة كلّ ذلك، أو أنهم بالفعل قد أعادوه؟

تردّد رامي قليلًا لهذا الاحتمال القائم، وقال:

– ذلك مُمكنٌ بالفعل!؟ ولكنْ لو كان كذلك فحتمًا قد أغلقوا كلّ الثّغرات التي نفَذْت منها، ومن المستحيل النّيلُ منهم بعد ذلك أبدًا.

– لهذا قلتُ لك، كان الأفضل التّشاورَ قبل فعلتِكَ تلك، كنّا سندرس كلّ تلك الاحْتمالات، ونرى ما الأنسبُ فعلُه، ربما قُمنا ببرمجةِ فيروس يفسدُ عليهم كلّ شيء دون أنْ يشعروا بالاختراق، ونتركه على السّيرفر منتظرًا توصيل هذا القرص الصلب ليتسلّل إليه مدمّرًا ما به، وهكذا يكون الفوزُ كاملًا.

شعرَ رامي بالغيظِ أكثر، وشريف يتقدّم عليه في مجاله بالتّفكير المنطقي السّلِس هذا فقال:

– ولكنّي متأكّد بأنهم قد تمّ تدميرهم.

فجأةً توقّف شريف، وأمسك بيد رامي قائلًا:

– رامي هناك مَن يترقّبنا!

ارتعدَ رامي بقوّة وقال:

– ماذا؟! أين؟

– منذ قدمتَ هنا ولم أرَ وسطَ المزارع مَن يرتدي بدلةً كاملة وأنيقة أبدًا، لقد كان خلفَ هذه الشجرة، وتوارى داخلَ المزارع فوْر رؤيتي له، يبدو أنّه كان يراقبنا.

ألقى رامي بسنّارته وهو يتحفّز قائلًا:

– هيّا بسرعة لنهربَ من هنا.

قال شريف وهو يتلفّت حوله ويجمع كلّ الأشياء بتوتّر:

– إلى أين تؤدّي تلك المزارع التي اختفى منها؟

– إلى أحدِ طريقين، إمّا..

قاطعه شريف قائلًا:

– فلنذهب بسرعة لطريقٍ ثالث يخالفهما.

انطلقا مسرعيْن، ورامي يلهثُ ويتلفّت خلفه من شدّة التوتّر، ويقول:

– هكذا سنجري لمسافةٍ طويلة يمكنه اصطيادُنا بها.

قال شريف مسرعًا:

– إنّه لا يتبعنا الآن، وربّما تُهنا منه، فلم يظهرْ له أيّ ملمحٍ حتى الآن.

ظلّا قرابةَ السّاعة ينطلقان في طرقٍ مختلفة ومتعرّجة، ورامي يظنّ أنّ الموت حتمًا يتربّصه في أيّ مكان، وقد يناله في أيّ لحظة، أخذ يلعنُ «شريف» وصحبتَه التي لا تخلو أبدًا من تلك المخاطر، ما الذي جاءَ به إليه! فمنذ أنْ أتتْه القصاصةُ بالقاهرة بعد خروجِه من مدرسته ولم يحدثْ شيء، ربما لأنّه ترك القاهرة وما بها من مخاطر ومخاوفَ، ومرّ قرابة الأسبوع به الهدوءُ والطمأنينة التي يبتغيها في حياته، وها هو شريفُ يأتيه ويأتي معه كلّ شيء، يجب عليه التخلّص من شريف تمامًا وللمرّة

الأخيرة، هل سيطردُه؟ ولكنّه منذ قليل كان يستعرض معه مدى كرم عمّه، وأنّه حمل خفيف وليس ثقيلًا أبدًا، لكَمْ يتمنّى أنْ يجد السببَ القوي الذي يفرّق بينهما للأبد، وصلا أخيرًا بيتَ عمّه، وشريف يؤكّد له باختفاء الرّجل تمامًا، ولكنْ هل ملاحظة الرجل لهما عند الترعة لا تؤكّد معرفته ببيت عمّه؟!

ماذا يفعل الآن؟ لقد وصلوا إليه! لقد عرفوا مَن هو، وأينَ يقيم كذلك!

اللّعنة على كلّ شيء.

وبينما هُمَا في غرفة رامي أخذَ شريف يطمئنه قائلًا:

– ربّما مخاوفنا هذه سرابٌ، وربما هو رجلٌ عاديّ جدًّا.

قال رامي برعب:

– وما الذي يؤكّد لنا ذلك؟ ما الذي يحسم الأمرَ إن كان رجلًا عاديًّا أم أنّه قناص جاء للنّيل منّا؟!

برقتْ عينا شريف، وهتف بحماس قائلًا:

– شيءٌ واحد سيؤكّد لنا ذلك بالفعل.

نظرَ نحوه رامي متسائلًا في عجب:

- وما هو؟

- التّيقن من نجاح عمليّتك نجاحًا كاملًا.

عقدَ رامي حاجبيه متفكّرًا، ويهزّ رأسه ببطء، وقال بهدوء:

- هل تقصدُ الدّخول إلى السّيرفرات والتيقّن من أنها لم تعدْ إلى حالتها الأولى، وقتها نطمئنّ لانتهاء هذه المنظمة؛ لأنّ ذلك سيؤكّد عدمَ وجود النّسخ الاحتياطي الذي نظنّ بوجوده، وبالتالي فمِن المستحيل وصولُهم إلينا، أمّا إنْ كان السيرفر يعمل بكفاءة وقد عادتْ إليه كلّ بياناته وربما حماية فائقة وقوية قد تمنعني من الدّخول للأبد، فهذا يعني قوتهم وقدرتهم على تتبّعنا، وربّما الوصول إلينا، وبهذا يكون الرجلُ الذي رأيته هو تهديدًا حقيقيًّا يجب التّحرّك للخلاص منه.

أشارَ شريف نحوه بأصبعه قائلًا بحماس:

- نعمْ بالضّبط.

وعلى غير العادة، لم يدخلْ رامي في جدالٍ معه، ومع حالة الهلع التي تنتابه كان من السّهل عليه استجلابُ

حاسوبه الفائق، وهذه المرّة لم يعدْ هناك داعٍ للمرور على جهاز عين القطّ في طريقه إلى السّيرفرات، فهو يعلم موضعَها جيدًا، أمّا في المرّة السابقة كان انتظارُه لها والولوجُ عبرَ جهازها أحدَ مراحل البحثِ والوصول إلى تلكُم السّيرفرات.

وجدَ السّيرفرات كما هي بنفس حمايتها السّابقة، ولا يوجد أيّ جديد، كان هذا مؤشرًا جيدًا جدًّا، فذلك يعني عدمَ التّطوير والتحسّب لأيّ هجمة قادمة، وبالتالي إذا ولجَ إليها الآن غالبًا سيجدُها خاوية على عروشِها، تنفّس ببطء، وبتردّد كبيرٍ انساب عبرَ الثّغرة التي صنعها في المرّة السابقة بمنتهى البراعة، ودخل ليجدَ ما يُبْهجه، لقد كانتِ السّيرفرات خاويةً تمامًا، لم يكن بها سوى ملفّ نظامي صغير ربما نشأ بشكلٍ تلقائيّ داخل السّيرفر لم يشغله كثيرًا، لقد نجحتِ العملية ببراعة وقوّة، وانتهى كلّ شيء بشكلٍ تامّ، لقد كان ذلك الرجلُ الذي رآه شريف إنّما هو وهمٌ أحاط بعقله المليء بنظرياتِ المؤامرات الكونيّة التي لا تدور سوى حوله وحدَه، أخذ يجوب السّيرفرات واحدًا

تلو الآخر ليتيقّن من خلوّها جميعًا، وقد كانت كذلك بالفعل، همّ أنْ يخرج ليتراقصَ مع شريف فرحًا، ولكنْ تذكّر عينَ القطّ، زعيمة تلك المنظمة، كيف حالُها الآن؟ وترى ماذا تفعل بعد انْهيار الكيانِ الكبير الذي تُديره؟!

لم يجدْ بدًّا من الذّهاب إلى جهازها الذي وجدَه يعمل بكفاءة، وكانت تجلس عليه، وكالعادة تنطلقُ بجوارها تلاوةُ آيات القرآن الكريم!

قامَ بتشغيل برنامجه التّجسّسي لرؤية ما تُدير على شاشتِها، فإذا بها تقرأ الوصْفة المنزلية لعملِ الآيس كريم بالشيكولاتة!

أيّ زعيمة جبّارة هذه؟!

لقد انهارت منظّمتها تمامًا، وانْمحى كلّ نشاطها الذي ربما كلّفها ملايينُ الدّولارات، هل كلّ ما يشغلها الآن هو معدتها؟!

توقّع أن يجدَها منشغلةً في البحث عن سيرفرات جديدة وبديلة وإعادة التّخزين الاحتياطي عليها

وترك القديمة كما هي، حتى إذا عادَ المتسلّل للاطمئنان يجدها خاوية فتتوقّف هجماته، ولكنْ ها هي انتهتْ من الحصول على وصْفتها، وفتحت موقعًا جديدًا يهتمّ بخيوط الموضة الحديثة للمحجّبات!!

يا لَكِ من باردةٍ مُنعدمة الإحساس، لقد فقدَ رامي ذاتَ يوم لعبةً تافهة تمّ حذفها بالخطأ، ظلّ مكتئبًا بعدها عدّة أيّام لأنّه سيعيد اللّعب من المستوى الأوّل مرّة أخرى بعدَ أن كان على وشكِ الوصولِ إلى المستوى الأخير، فما بالك بمَن فقدَ كلّ كيانه ومصدرَ قوّته، ولم يعدْ لديها أيّ قدرة على متابعة ضحاياها أو الوصول إليهم، وفجأة توقّف عقل رامي وقد أضيئتْ لمبةٌ حمراء في ذهنه، ما هذا!! هل كانت الحماية حولها ليس لأنّها زعيمة وإنّما لأنها ضحيةٌ ثمينة يجبُ الحفاظ عليها وعدمُ خسارتها؟ ولكن كيفَ يتمّ تبرير موقفِها يومَ المقابلة في المجمع التّجاري، لقد رأى بعينيه ذلك الضخم وهو يغادرُ المجمعَ التّجاري، ولكنّه كان يتلفّت ذات اليمين واليسار كأنّما هو في حيرة من أمْرِه، ربما كان ذلك لأنّه لم يصلْ إليه، وظهر مَن وضع بيدِ

شريف ورقةً بالعنوان الجديد، لو كان الأمرُ يتبع عينَ القطّ هذه فحتمًا سيكون الغامضُ الذي وضع الورقة هو ذلك الضخم!

لقد كان الأمر صدفةً عجيبة، أنْ تظهر المنظّمة الحقيقية في وقتِ ترقّبنا لعين القط، فنظنّ أنّهما كيانٌ واحد!

في حين أنّه ربّما تكون حليفًا لنا؟

معنى هذا زوالُ الخطر تمامًا بالفعل، لقد كان دخولُه لجهاز عينِ القطّ الآن لوضع كودٍ يقوم بمحو كلّ كبيرة وصغيرة في جهازها فوْر مغادرته، ولكنِ الآن لن يفعلَ ذلك، لأنّه حتمًا سينالُ من ملفّه التجسّسي الذي يمكّنه من الولوجِ إليها، وقد يحتاجُ إليها في مرّة قادمة.

همّ أن يفتحَ الكاميرا لرؤية ملامحِها الجميلة التي أراد أنْ يتمعّن فيها الآن، ولكن.. اهتزّت الشاشة الظاهرة أمامه كأنّها إشارةُ إرسالٍ تليفزيوني تمّ التّشويش عليه، وشعر بصداعٍ يجتاحه فاضطرّ أن يفتح عينيه، وأنْ ينسلخ من كلّ شيء وقد اختفى حاسوبه الفائقُ بعد أن زال كلّ خطر.

نظرَ نحوه شريف بتساؤلٍ قائلًا:

- ما الخبر؟

ابتسمَ رامي بنصرٍ قائلًا بشجن:

- لقد زال الخطرُ تمامًا.

***

في صباح اليوم التالي انطلقتِ السّيارة المتهالكة تشدّ الرّحال إلَى خارج القرية التي يقيم بها رامي مع عمّه، وتقلّ بداخلها شريف، وذلك بعد علمِه واطمئنانه بزوال جميع المخاطر، حاول السفرَ مساءَ أمس، ولكنّ عمّ رامي أصرّ على مبيتِه وسفرِه في الصباح الباكر لأمانِه الشّخصي والبُعد عن خطر السّفر ليلًا، تناول شريف إفطارَه الشّهي والصّحي برفقة رامي، وأخيرًا احْتضنه بودٍّ كبير، وقال له:

- آسف على كلّ شيء يا رامي، ولكنّك قمت بعملٍ رائعٍ جدًّا وخدمات جليلة بالفعل.

ضحكَ رامي وقال:

- أستحلفُكَ بالله ابتعدْ عنّي هذه المرّة بلا رجعة، صحبَتُك مُتْعبة لأقصى حدّ.

بادله شريف الضحكَ قائلًا:

– لديكَ عبقرية متفرّدةٌ لا يمكن الاستغناءُ عنْها، وحتمًا لنْ تتأخّر إذا ناداك الواجب.

– شكرًا جزيلًا جدًّا، يكفيني واجباتُ مدرستي، ابتعدْ أنت عنّي، وكلّ شيء سيصير رائعًا وجيدًا.

أخيرًا، ابتعدتِ السيّارة واختفت بسحابتِها التّرابية التي خلقتها حولها، والتفت رامي عائدًا والفرحةُ تهزّ وجدانَه، لقد تخلّص أخيرًا من شريف، واختفت جميعُ التهديدات التي كان يخشاها، الآن أقصى مغامرةٍ سيخوضها هي مشاكسةُ عين القطّ التي يثقُ تمامًا بأنّها فتاة عادية جدًّا لا تمثّل أيّ خطورة، ولكنْ ما هي قيمتُها التي كانت تفرض حولها كلّ هذه المهابة؟! أيّ عبقرية لديها جعلتها هدفًا لتلك المنظمة؟! هل من المعقول أنها تفوقُه عبقريةً في مجالٍ ما؟

حتمًا في مجال عمل الآيس كريم بالشكولاتة!

ضحكَ عاليًا وهو يتذكّر ذلك، فحتّى اللعبة التي كانت تلعبُها كانت ساذجةً وبسيطة لا توحي بأيّة عبقرية أو ذكاء.

مِن أيّ جهاز عادي تمامًا يمكنه الآن الدّخول إلى جهازها بلا خوف، وليس هناك حاجةٌ لأنْ تهتزّ مشاعره خوفًا لكي يستجلب جهازَه الفائق ليعمل عليه مخترقًا جهازها من جديد.

اقتربَ رامي من منزل عمّه، وفوْر انحرافه من الشّارع الرئيسي إلى الشّارع الجانبي الذي يقعُ المنزل فيه، إذا به يجدُ سيّارة سوداء ضخمة تماثل تمامًا التي قامت بخطْفه هو وشريف من قبْل، حين تمّ الْقاؤهما في بئر مصعد العمارة أوّل مرّة، ابتلع ريقَه بصعوبة، ولكنّه متيقّنٌ من الإجهاز على تلك المنظّمة، حتمًا هذه سيارة تشابهها في صدفةٍ عجيبة فقط، كانت السيارة صامتةً بزجاجها المعْتِم تمامًا، اقترب منها في توجّس وهو يتمعّن بها، وما إنِ اقْترب من بابها الجانبيّ حتى انفتح، وفي لمحِ البصر تمّ جذبه إلى داخلها وأُغلقَ البابُ لتنطلق السيارة في سرعةٍ صاروخية قبل أن يستوعبَ رامي أيّ شيء ممّا يحدث.

***

كان شريف جالسًا على كرسيّ وثير، ومسترخٍ تمامًا، ويتّصل بجسده الكثيرُ من التّوصيلات الإلكترونية، بعضُها برأسه على شكل خوذةٍ حديدية، والبعض يتّصل بأوْردته عبْرَ إبرةٍ دقيقة يتدفّق منها بعضُ الدّم إلى أحد الأجهزة الكبيرة، وأمامه شاشة حاسوبٍ تعرض له أحدَ أفلام الرّعب الأمريكية الشّهيرة، انتهى الفيلم وشريف يتنهّد بعمقٍ قائلًا:

– لم ترعبْني أيّ مِن كلّ تلك المشاهد التي أراها سخيفة، وللأسف علمي المسبق بأن كلّ ذلك تمثيلٌ وليس واقعًا يُفسد عليّ أي مشاعر تجاه الأبطال في الفيلم، ربما السبب أنّ أفلامَ الرّعب لا تناسب ذائقتي.

ابتسمَ الدكتور محمد إسماعيل، وقال:

– بل أنتَ شابّ شجاع، ومِن الصّعب استثارة مخاوفك، ويبدو أنّ هذه الدراسة من الصّعب إجراؤها معك، من الممكن ذلك مع رامي.

ابتسمَ شريف قائلًا:

- كفى ما حدثَ معه، لقد عاشَ في الخوف أيامًا كثيرة، ولكنِ الحمدُ لله لقد زالت المنظّمة تمامًا، وزال خطرُها للأبدِ إنْ شاء الله.

أخذ الدكتور محمد إسماعيل في فصْل كلّ ما يتّصل بجسد شريف، وقال:

- نعْمَ التّفكيرُ يا ولدي، لقد كان لك دورٌ كبير في ذلك.

شردَ شريف ببصره، وقال:

- بل هي خطّتك العبقرية يا دكتور، أنْ نستثير مخاوفَ رامي ابتداءً من إخفاء ملفّه في المدرسة، وإرسال وريْقة إليه مع صبيّ صغير، وذهابي إليه بادّعاء أنّ الخطر يلاحقنا، وكلّما أردتُ منه العملَ كنت أضعُه في موقفٍ مُرْعب لأجل ذلك، وآخرها عندما أخبرتُه عن الرّجل الغريب، أسأل الله- عزّ وجلّ- أن يسامحني على هذا الكذب، فأنا أرفضُ تمامًا مبدأ أنّ الغاية تبرّر الوسيلة، فلن يوفّقنا الله أبدًا إذا ارْتكبنا الذنوب ونحن نبرّرها

بأنّ الهدف كبيرٌ وهامّ، لهذا ما زلت متخوّفًا جدًّا من العواقب لهذا الكذب!

– إنْ شاء الله لن يكون هناك أيّ عواقب لا تقلق، وخُلقك هذا محمودٌ جدًّا.

– حسنًا يا دكتور، ماذا سنفعل الآن؟

تنهّد الدكتور إسماعيل مرّة أخرى، وقال:

– ليس أمامي سوى الاتّصال بمؤسّسات أمريكية كبيرة للبحث عن جهاز صغير محمول يتّصل بك بشكلٍ دائم، ويقوم بالتّسجيل التلقائي لأيّ زيادة تحدثٍ عندك في إفراز الأدرينالين، وحين تأتيك القدرة على قراءة الأفكار، نرصدُ تلك النسبة، وبعدها يمكننا تقْنين هذا الأمر.

– حسنًا يا دكتور، هل يُمكنني السّفر لوالدتي الآن، فلَمْ أرها منذ أمد، ولا يُمكنني المخاطرة بعودتها هنا مرّة أخرى.

– تفضّل يا ولدي، وإذا حدث جديدٌ؛ سوف أخبرك بإذن الله.

***

كان رامي يرتجفُ بقوّة، ولا يظهر له سوى السّواد المعْتِم بسبب العصابة التي تلتفّ بقوّة حول رأسه وتغشي بصرَه تمامًا، ولم تعدْ تصدر منه تلك الهمهَمَة بعد أن تمّ تكميم فمِه بعصابةٍ أخرى قويّة، أصبح يترقّب الموت في أيّة لحظة، حتمًا سيطلقون عليه رصاصةً الآن، أو في أيّة لحظة قادمة، كان يُغمض عينيه وهو يتوقّعها قادمةً من الجانب الأيْسر إذا حدثتْ جلبةٌ ناحيتها، أو من خلفه إذا سمع صوتًا يتحدّث وراءه، أو من أي جهة، ستأتيه الرّصاصة لتجهز عليه، ترى كيف سيكون ألمها، هل حقًّا تسبّب الوفاة مباشرة فوْر دخولها إلى جسدِه مثل ما يحدُث في الأفلام، أم أنّه سيظلّ يتألم كثيرًا بسببها قبل أن يموت، حاول أن يتوقّع منْ هؤلاء!

هل مِن الممكن أن تكون هي تلك المنظّمة العالمية؟!

ولكنّه متأكّد تمامًا من محْو بيانات جميع السّيرفرات الخاصّة بها..

فكيفَ سيرصدونه ويأتون إليه بهذه السرعة؟!

ولكنّها نفس طريقتهم بالفعل، وتحرّكهم الاحترافي الكبير هذا لا يفعله سواهم، لقد عاشَ معهم هذه الطّريقة التي تشابه أفلامَ المغامرات الأمريكية في صراعه السابق معهم قبيل إلقائه في بئر السلم.

إذا كانت هي فعلًا تلك المنظّمة؛ إذَا لقد انتهى الأمر وقضيَ عليه، وكلّها ثوانٍ وسوف يذْبحونه!

ولكنْ طوالَ ساعتين من السّفر لم يُحدثه أحدُهم! بل كانت كلماتهم القليلةُ مع بعضهم البعض بلغةٍ لا يعرفها، وقد وصلَ إلى هذا المبني وأجلسوه عنوةً على هذا المقعد وقيّدوه به منذ وقتٍ طويل لا يمكن إحصاؤه، لماذا لم يقتلونه طوالَ هذه المدّة؟ ماذا ينتظرون؟

انْتابَه الأملُ أنهم قد يتفاوضونَ معه على شيء ولا يقتلونه، خفَتَ ارتجافُه المرتعبُ قليلًا لتوصّله إلى هذا الأمل، أخيرًا ظهر صوتٌ غريب، وبنفس اللّغة المجهولة التي لا يعرفها يصاحبُه أكثر من فردٍ يردّ عليه، حتمًا هذا هو الزعيم الذي ينتظرونه ليقتله بيديه متشفّيًا فيه!

اقتربتِ الخطواتُ منه، وارتفع ارتجافُه لأقصى حدّ، وسمع هذا الزعيم يقول بمنتهى الهدوءِ، وباللغة العربية:

– لماذا تقيّدونه؟ فكّوا جميعَ القيود.

دارت عينا رامي في محْجَريهما، ولم يتوقّف ارتجافه بعد أن أغشي بصره بضوء القاعة الكبيرة التي تحوي الكثيرَ من المخلّفات، وعندما استقرّت الرؤية لديه بعد رفْع العصابة عن عينيه والأخرى عن فمِه؛ أدركَ هلاكَه المحتّم، فقد كان هذا الزعيم هو نفسه الذي ألقي القبضُ عليه سابقًا برفقة شريف، ودفع بهما إلى بئر السلم!

حتمًا لن يأتيه الحظّ لمرّة ثالثة ليفلتَ من الموت المحقّق الذي ينتويه هذا الزعيم.

جلسَ الرجلُ على كرسيّ آخر مواجهًا له ووضع يدَه على فخذ رامي الذي انتفضَ كأنّما مسّه تيار كهربي، وابتسم له ابتسامةً لا يدري رامي معناها، وقال:

– رامي، أنتَ عبقريّ فريد.

كادَ رامي يبكي وهو يقول له:

- أرجوكَ لا تقتلني.

رفعَ الرجلُ حاجبيه في تعجّب كبير، ووجهُهُ ما زال محتفظًا ببسمته الهادئة، وقال:

- ولماذا أقتُلُك أيّها العبقري؟!

اتّسعت عينا رامي، وقال بفرحة:

- هل حقًّا لن تقتلني؟!

ضحكَ الرجلُ وهزّ كتفيه، وقال:

- حتمًا لا، إلّا إذا رفضت صداقتنا.

توجّس رامي مرّة أخرى، وقال بتردّد:

- صداقتكم!

- نعمْ يا صديقي، كيف لا نطلبُ صداقةَ صاحب القدرات الخارقة مثلك؟!

- ولكنّكم حاولتم قتلي سابقًا!

- خطأ غبيّ، وإنْ كنّا لا ندري حتى الآن كيف أمكنَكَ الإفلاتُ منه!

هزّ رامي رأسَه، وزادت حيرته، لقد افترض بأنّ الرجلَ يعلم كلّ شيء عنه وعن قدراتِه الخارقة في استجلاب حاسوبه الفريد، وانتقاله من مكانٍ إلى آخر بطريقة غريبة لا يعرف سرّها حتى الآن! فكيف لا يعلم بطريقةِ إفْلاته من الموت مرّتين؛ مرّة بمصر والأخرى بأمريكا!

فقال بتردّد:

- عن أيّ قدرات خارقة تتحدّث؟

- قدرتُك على اختراق جميع مواقعنا، رغم ما بها من تحصينات تعمل عليها خمس شركاتٍ عالمية كبرى متخصّصة في الحماية فقط.

ظهرَ شبحُ ابتسامةٍ على وجه رامي سريعًا ما اختفى، لقد تيقّن الآن أنهم لا يدرون شيئًا عنْ حقيقة قدراتِه الفعلية، إنهم فقط منبهرونَ بقدرته على تحطيم قواعدهم، لهذا لن يصرّح بها، ستظلّ حبيسة صدره فلا يدري متى سيكون في حاجة إليها، وقال:

– ولكنْ، لقد محوت كلّ شيء، كيف توصّلتم إليّ بهذه السرعة؟!

– لقد كانت صدمتُنا كبرى عندما قمتَ بذلك في ثوان، وعلى جميع السّيرفرات دفعة واحدة، لهذا تركنا لكَ مصيدة لأنّك حتماً ستعود للتيقّن من نجاحك، تركنا لك ملفًّا يمسك بتلابيبك حين عودتك، وفوْر إمساكه بك دون أن تدري أنت؛ تمّ تحديد موقعك بمنتهى الدّقة، وجئنا إليك على أوّل طائرة قادمة إلى مصر.

ارتفعَ حاجبا رامي دهشةً وقال:

– أوّل طائرة!! ولماذا لم يفعلْها رجلُكُم الذي كان يراقبنا وسطَ المزارع؟

– أيّ رجل؟!

لقد كان هناك رجلٌ يراقبنا بعد محْوِ بيانات السّيرفرات وقبيل عودتي للتأكّد من نجاحي.

عقد الرجلُ حاجبيْه، وقال:

– لم يكنْ لنا رجالٌ بمصر منذ شهرٍ عقب التخلّص منك أنت وزميلك سابقًا!

– هل تعني أنّ الوريْقة الخاصّة بعين القطّ لم تكنْ منكُما؟

قام الرجل واقفًا، وقال:

– ما هذا!! هل تعلمُ شيئًا عن عين القطّ!؟

– نعم، إنّها تلك الفتاة السّاذجة التي تضعون حولها حمايةً كبيرة، وكنت أظنّها زعيمة عصابتِكم.

ضحكَ الرجلُ عاليًا، وقال:

– الزّعيمة دفعة واحدة!!

تيقّن رامي تمامًا من أفكاره حولها، وأنّها من المستحيل أن تكون هي الزعيمة، ولكن..

إذا كان الرجلُ الغريب وسط المزارع، والصبيّ الذي جاء بالقصاصة إليه حين عودته من مدْرسته بالقاهرة؛ إذا كانا ليسا أحدَ أفراد تلك المنظمة، وبالطبع ليست لعين القط السّاذجة هذه دورٌ فيها؛ فمَن يتبعون؟

قطعَ الرجلُ عليه تفكيره، وقال:

– لقد كان القرارُ حكيماً جدًّا هذه المرّة، وتمّت مدارستُه بهدوء، مَن يمتلك قدراتك وذكاءَكَ الفائق هذا؛ لا بدّ وأن يكون أحدَ أفراد فريقنا مهْما كان الثمن.

ارتفعَ حاجبا رامي دهشةً هذه المرّة، وإنْ كان يشعرُ بالفخر كلّما وصفه الرجلُ بالعبقريّ والذّكي والمتفرّد، لقد كان حتّى الأمس يحاربُ هذه المنظّمة، وكلٌّ منهما يريدُ محْوَ الآخر، فكيفَ يأتي لخيالهم أنهم قد يجنّدوه ليصبح منهم، ويسعى إلى تدمير الشّباب العربي، وتنفيذ مخططاتهم الخبيثة؟! فقال:

– وهل تظنّ أنّي حقًّا قد أوافق على التعاون معكم لتدمير شباب بلادي؟

ضحكَ الرجلُ مرّة أخرى، وقال:

– تدميرُ شبابِ بلادك، انظرْ إليهم أوّلًا يا فتى، إذا رأيت أحدَهم لا يفعل الموبقات أو مستفيقًا من إدْمان المخدرات؛ فأخبرني، شبابُكم قام بتدمير نفسِه تدميرًا ذاتيًّا، وليس في حاجةٍ إلى جهدنا هذا.

قال رامي بعصبية:

– لم حاولتَ قتْلنا إذًا؟!

– قلتْ لك إنّه كان خطأ غبيًّا.

– وإذا رفضتُ هل ستقتلني؟

تردّد الرجلُ، واستجمع أنفاسه وقال:

- اسْمعني يا فتى، سنعرض عليكَ وظيفةً براتب خيالي لا تحلُم به، سيؤمّن لك مستقبَلَك تمامًا، وأعدُكَ ألّا يكون لنا أيّ نشاط في بلدك، ما رأيك الآن؟

- ولا في الوطن العربي.

ضحكَ الرجلُ بسخرية وقال:

- ولا الوطن العربي!!

- ولا الإسلامي؟

عقدَ الرجلُ حاجبيه، وقال:

- ماذا تقصد بالعالم الاسلامي؟

- أيّة دولةٍ مسلمة وليست عربية، مثل تركيا وأفغانستان وباكستان، وهكذا.

تردّد الرجل وقال:

- لكَ هذا بشرط أن تكون مخلصًا لنا.

- وكيف أضمنُ عدمَ تربّصكم بي مثلما فعلتُم مِن قبل؟

– أقسمُ لك أنّنا لم نترصّدْ مكانك إلّا بعد اصطيادك عبر الملفّ الذي تركناه في السّيرفرات، ابحثْ عمّن خدعَك وأوهمك بذلك!

طرقتْ جُملة الرجلِ رأسَ رامي بعنف (ابحثْ عمّن خدعك وأوهمك بذلك!)

هل مِن الممكن أنه تعرّض للخداع؟ ولكنْ ممّن؟ فهو لم يدخلْ في صراع سوى مع تلك المنظّمة وبعض العصابات الأمريكية الّتي لا تعلمُ عنه شيئًا الآن!

هل يُعقل أنّ العصابات الأمريكية قد توصّلت إليه، أو قد يكونُ ذلك الشابّ الصهيوني الذي نجحَ في اختراق عقلِه، وزرع فيروسًا إلكترونيًّا به! ولكنّه تخلّص من هذا الفيروس تمامًا الآن، ولا يمكن تتبّعه.

طال صمتُه، فقام الرجلُ واقفًا، وقال:

– لكَ الحقّ في التّفكير، ومعك الوقتُ الذي تريد، ما الطّعامُ الذي ترغب فيه الآن؟

قال رامي بدهشةٍ:

– طعام!

– بالطّبع، فأنت ضيفُنا ولست أسيرًا.

أشارَ الرجلُ إلى رجاله الذين أشاروا لرامي أن يصحبَهم، فقام واقفًا وقد تغيّر الحالُ تمامًا، وخفَتَ خوفُه وإن كان ما زالَ قائمًا، فهو لا يدري ما الذي يترقّبه، ماذا إن رفض؟ الرجلُ لم يجِبْه؛ ممّا يعني أنّه حتمًا سيتمّ قتلُه، ارتعدَ مرّة أخرى عندما توصّل لهذا الخاطر.

دخلوا به إلى غرفةٍ وثيرة بها الكثيرُ من الرّفاهية والتأثيث الجيد، وأفضل ما فيها كان ذلك الحاسوب المتألّق على ذلك المكتب الصغير.

أشارَ الرجلُ للبقيّة بالانصراف، وقال مبتسمًا بودّ إلى رامي:

– اعتبرْ إقامتك لدينا إقامةً فندقيّة منعزلة للتّفكير الجيد، خذْ ما يكفيك من وقت وأعطني الردّ حين التوصّل إلى قرارك، وبجوارك هذا الهاتف لتطلبَ ما تشاء من طعام وشرابٍ وأي وسائل ترفيه، فقط قمْ بالضّغط على الرّقم صفر.

لم يردّ رامي عليه، فانصرف الرّجل بهدوء، وأغلق البابَ خلفه، ليرتمي رامي بقوّة فوق السّرير الكبير والوثير ليرتدّ قليلًا إلى أعلى ممّا أسعده، فقام ليرتمي عليه مجدّدًا معجبًا بحركةِ الارتداد هذه، فتحَ التّلفاز ذا الشّاشة العريضة، وبحَثَ عن قنوات الأفلام التي يحبّها، فوجد الصورةَ كبيرة كأنّما هو في قاعةِ سينما مما زادَ من سروره، نظر نحو الهاتفِ وتفكّر قليلًا، واتّصل برقم صفر ليردّ عليه صوتٌ هادئ سائلًا إيّاه عمّا يطلب، فطلبَ وجبة ثمينة كمْ تطلّع لتناولها ولم يتمكّن منها من قبل، ومعها أحبّ مشروباته من عصائرِ الفاكهة التي ربما لا تتوفّر الآن، انشغلَ قليلًا في متابعة الفيلم المعروض، ولدهشتِه في خلال النّصف ساعة أصبحت غرفتُه معبّقة برائحة الطعام الذي أتاه فاندفع ليلتهمَه بشراهةٍ وتلذّذ، وأعقبها بتذوّق عصائره والمياه الغازيّة التي تحامل حتى يُنْهيها، وأخيرًا ارتمى على سريره، وهو يشعر بتُخْمة كبيرةٍ وشبع تامّ ربّما لم يحصل عليه من قبل، ثمّ غفتْ عيناه وذهبَ في سباتٍ عميق.

***

استيقظَ رامي من نومه وهو يشعرُ براحةٍ كبيرة لم يجرّبها من قبل، والعجيبُ أنّه وصل إليها في عرين أعدائه! أخذ يفكّر، ترى ماذا يفعل الآن؟ هل يقبل العرضَ ويبدأ العمل مقابلَ راتبٍ كبير؟ لقد جرّب شعورَ الأثرياء ورفاهيتَهم، وهو الآن قابَ قوسين أو أدنى من تحقيق ذلك.

ولكنْ هل حقًّا سيصْدقون فيما يقولون، ولنْ يكون مصيرُه القتل؟

هل حاجةُ الذّئاب إليه تمنحه الأمنَ التّام، أم سيزول ذلك بمجرّد انتهاء الحاجة إليه؟

شعرَ بحيرة وخوفٍ وهو يتفكّر ترى ماذا سيطلبون منه، وماذا سيحدث إذا عجز عن تحقيق ما يريدون؟

وجدَ نفسَه تلقائيًّا يريد الحديثَ إلى شريف والتّشاور معه، لقد كان كلّ خوفٍ شريف هو المؤامرات الكونيّة التي تدور حوله، فهل إذا طمأنَه رامي وأخبرَه بأنّه أزاح تلك المؤامرات عن كلّ مَن يحبّهم ويخافُ عليهم، هل بهذا يتحقّق مراده؟ أم سيقف معترضًا بأنّه لا يبغي الضّرر لكلّ البشرية؛ سواء لأعدائه أمْ أصدقائه؟!

ليسَ أمامه سوى الاتّصال به والتّشاور معه، ولكنْ هل من الآمن له الاتّصال عبر وسائلِهم التي حتمًا يراقبونها مراقبة تامّة وصارمة؟

كيف سيتناقش بحرية وآذانُهم تُنْصت لكلّ ما سيقول؟

نظرَ نحو الحاسوب الرّابض أمامه على منضدته وابتسمَ بنصر، وقام إليه ليفتحَه ليجده حاسوبًا متطوّرًا، به الكثيرُ من الإمكانات الكبيرة، حتمًا بدأ الرّصد الصارم والقوي له الآن، ولكنّه- وفي مشاعره المرتبكة والخائفة من مصيره المجهول- قام بتشغيل حاسوبه الفائق الرّابض بين ثنايا عقله، أخذ يتصفّح في محتويات حاسوب المنظمة بلا تركيز، وذلك لأنّ تركيزه كلّه كان بالداخل مع حاسوبه الشخصي، توجّه مباشرة إلى برنامج اتّصالات دولي عبر الشبكة العنكوبتيّة، وقام بالاتّصال بالإنترنت عبر الشبكة التي وجدَها متاحةً أمامه، والتي بالطبع تتبع هذه المنظّمة، ولم يقلقه إدراكهم لذلك، فلن يخطرَ ببالهم لوهلةٍ أنّه هو، سيظنّون أيّ عابثٍ استطاع أن يخترق شبكتهم

اللاسلكية للإنترنت رغبة في استخدام الإنترنت مجّانًا فقط، وسيحاولون طردَه، ولكن لن يستطيعوا، أرسلَ برسالة إلى جوّال شريف الذي يحفظ رقمَه هذه المرّة بعد آخر وداع بينهما، والذي اطمئنّ وقتها بأنه الوداع الأخير حقًّا، ولم يكنْ يعلم أنّ القدر ما زال يخبّئ له الكثير، كانت الرّسالة تقول له:

(أراسلك ببرنامج مشفّر عبر حاسوبي الخارق، أنا الآن في يد المنظّمة العالمية ولكنْ بخير، افتحْ بريدَك الإلكتروني وحدّثني من خلاله الآن).. أغلق رامي برنامج الاتّصالات وقام بإرسال بريدٍ إلى شريف يشرحُ له فيه كلّ شيء ويسأله المشورة وما رأيه في ذلك، هل موافقة رامي ستزيل التّهديد حقًّا عن عالمنا العربي والإسلامي، وهل رفضه سيكون سببًا في الانتقام من هذا العالم؟

أيّهما أفضل؟

لم يمرّ أكثر من نصف الساعة وجاءه ردّ شريف اللاهث والخائف عليه، والذي يحذّره من هذه العصابة عديمةِ الضمير، ويسائله كيف يأمنُ لهم أو يفكّر- ولو

لوهلة- أنْ يتعاون معهم مهْما كانت الوعود، وسأله سؤاليْن حسَمَا الأمر لدى رامي بالفعل، قال له:

- هل مَن يقتُلُ مرّة يكون لديه بقيّة من ضمير أو مبادئ ليحافظ عليها بعد ذلك كي تثقَ في وعوده؟

- إذا كان الأمرُ مبنيًّا على الشّراكة بالفعل، قل لهم أريدُ مهلةً للتّفكير، وليطلقوا سراحَك، وسوف تردّ عليهم بعد الوصول للقرار.

لكمْ أراحَه شريف بحقّ، الآن سيعلم ما هو مدى العلاقة بالفعل، وإنْ كان لديه شكّ كبيرٌ في ذلك، لقد تهرّب الرجلُ مرّتين عندما سأله رامي عن مصيره في حال الرفض.

توجّه رامي مباشرةً نحو باب غرفته، وفتحه، فإذا به ينفتحُ بسهوله، حاول السّير عائدًا تجاه القاعة التي جاء منها إلى هذه الغرفة، ولكنْ فُتح باب إحدى الغرف وظهر رجلٌ ضخمٌ جدًّا، ووقف أمامه قائلًا:

- ماذا تريد؟

قال له رامي بتردّد:

- أريد مقابلة الزعيم لأمرٍ هام.

أشارَ الرجلُ نحو غرفة رامي قائلًا له:

- اذهبْ إلى غرفتك، وسوف يأتي إليك بعد قليل.

كانت لهجةُ الرّجل صارمةً وقويّة، ولا تقبل الرفض؛ لذا بارتعادةٍ خفيفة هزّ رامي رأسه وعادَ من حيث أتى.

جلس على كرسيه أمام حاسوبهم وهو يفكّر، إنّه بالفعل تحت رقابةٍ صارمة وقد تكون مصوّرة كذلك، كيف علمَ هذا الرجل بخروجِه من الغرفة، وقبل أن يذهب في أفكاره الكثيرة إذا ببابِ الغرفة يُفتَح، ودون طرقٍ عليه، دخل الزّعيم ببسمته الناعمة ووقف قبالتَه، وقال له:

- خيرًا يا رامي، هل توصّلت إلى قرارك؟

قال رامي بتردّد وخوف:

- القرار يحتاجُ إلى تفكيرٍ كبير، وأنا هنا خائفٌ جدًّا، ولا أستطيع التفكير، هل من المُمْكِن أن تتركني أذهب، وسوف أردّ عليكم حين التوصّل لهذا القرار؟

***

لم يطُلِ اسْتمتاعُ رامي بما فيه من رفاهية، ها قد عادَ إليه الرّعبُ الكبير بمجرّد تواصله مع شريف، هل هو قدرٌ أم أنّ علاقتَه بشريف يلحقها النّحس، فلا تكون إلّا بما هو فيه الآنَ من خوفٍ ورعب كبيريْن!

فما إنْ طلب منهم الذّهابَ لحال سبيله حتى تبدّل كلّ شيء، تغيّرت حتى ملامح محدّثه الذي كان يتصنّع الودّ، فقد كشّر عن أنيابه وتغضّنت ملامحُه ليتقاطر منها الشرّ، وقال له بصوتٍ أجشّ مخالفٍ تمامًا لما كان ينطق به:

– يبدو أنّك قد تدلّلت أكثرَ من اللازم، ما سأنطق به هو قولٌ واحد، إمّا أنّك ستعمل معَنا برغبتك أو رغمًا عنك، فلا تجبرني على صُنْع ما لا يرضيك حتى تبدأ العمل، أمامَك الحاسوب بغرفتك، إمّا أن تبدأ عليه بعد عشْرِ دقائق في دراسة بقيّة الثغرات بسيرفراتنا، والعمل على سدّها؛ أو سترى ما لا تتخيّله في أبشع كوابيسك.

وتركَه وانطلق، ورامي متجمّد في موضعه، لقد كان شريف على حقّ، فقد عجّل له بما كان ينتظره، فتلك المنظّمة لا تريد سوى استغلالِ قدراته، وحتمًا بعد نفاذها سيتمّ التخلّص منه، وبالطبع كلّ وعودهم معه حتمًا كاذبة.

ما العملُ الآن؟ هل سيمكنُه الهروب من وسط عرينهم، والذي لا يدري أين هو تحديدًا!

أصبح يفتقدُ إلى رفقةِ شريف الآن، فهو صاحبُ التّفكير المنطقي السليم في كيفية الهروبِ من المآزق، أتتْه الفكرةُ السّليمة التي يجب أن يعمل عليها، قامَ مباشرة إلى حاسوبهم، وبدأ العملَ عليه ليفحص سيرفراتهم، وتوقّف قليلًا مغمضًا عينيه مفكّرًا، ظنّ مراقبُه أنّه يبحث عن حلّ لثغرةٍ وجدها أثناء عمله، في حين كان يشعِلُ حاسوبه الفائق بذهنِه ليتّصل بشريف، والذي كان ينتظرُه على أحرّ من الجمر، وعبْرَ أحدِ برامج الحوار الإلكترونية، شرح له رامي كلّ ما حدث، فقال له شريف:

– ألم أقلْ لك؟

– لا يهمّ ذلك الآن، المهم ما العمل؟

–هل يمكنك استغلالُ ثقتِهم بك وتركهم السّير فرات لك لتقوم بتدميرها هذه المرّة تدميرًا كاملًا؟

– هل هذا ما يهمّك؟ وما الذي تتوقّعه إنْ فعلت ذلك وأنا معهم؟

– أنا آسف فاتني ذلك بالفعل، بالطبع سيتمّ قتلك شرّ قتلة، هل يمكنك تشغيل الـ (GPS) لتحديدِ موْقعك؟

– بالطّبع سيرصدون ذلك، وسيتمّ قتلي ويهربون قبل أن تصلَ لي.

– بالفعل هذا واردٌ جدًّا.

– عندي حلّ ولست أدري ما هو استعدادُك له!

– ما هو؟

– أنْ أطلب منهم مشاركتَك فيأتونَ بك، ونتعاون معًا في الهروب.

طالتْ فترةُ صمتِ شريف هذه المرّة، وأخيرًا ردّ عليه قائلًا:

– الفكرة جيّدة جدًّا، ولكنِ امْنحني الوقتَ لمشاورة الكبار في كيفية تنفيذ ذلك، وما الخطط المحتملة للهروب معك من بين أنيابهم.

– حسنًا، إذا أصبحتَ مستعدًّا؛ فقط أرسل لي بريدًا عاديًّا بأنّك تفتقدني، ليظهر بأنّي قد تذكّرتك به، وأطلب بعدَها مشاركتك.

– اتّفقنا.

***

وقفَ شريف بمنتصف ميْدان التحرير وهو يضغطُ على جوّاله بشدّة كأنما يتلمّس منه بعضَ القوّة، وظلّ ينظر تجاه اليمين تارة وتجاه اليَسار أخرى منتظرًا ظهورَ السّيارة التي ستقلّه إلى المجهول!

أخذَ يستغفرُ، ويسأل الله أن يحرسَه ويوفّقه إلى ما هو ذاهب إليه، طال انتظاره حتى شعرَ بالملل، وأخيرًا

ارتفع رنينُ جوّاله فجأة ممّا أفزعه وجعله يرتعدُ، ولكنْ تمالك نفسه بسرعةٍ وقام بالردّ عليه ليأتيه الصوتُ الأجشّ ليقول له مباشرة بلا مقدّمات:

– بعد انتهاء المكالمة قمْ بنزع بطاريةِ جوّالك، ولتهبط إلى مترو الأنفاق لتستقلّه وتصل محطّة أحمد عرابي وتهبط بها، هناك ستجدُ مَن يرافقك.

وأغلق الخطُّ مباشرةً بلا انتظارٍ لردٍّ من شريف، الذي أخذ يتطلّع حوله ليرى مَن يراقبه ولم يستطعْ رؤية شيء، ولعلمه التّام بإحكام الرقابةِ عليه؛ قام بتنفيذ ما طلبه الرجلُ منه، وبينما تخطو قدماه خارج عربة المترو بمحطّة أحمد عرابي، إذا برجلٍ مجهول يتأبّط ذراعه الأيمن كأنّما هُما صديقان قديمان، وقال له:

– لا تتحرّك أيَّ حركة غريبة، وأكمل مسيرَك معي.

بلا أيّ تغيّر في ملامحه، تركه شريف ليقتادَه إلى خارج محطّة المترو ليجد السيارة السّوداء التي طاردته من قبلُ مرتكنةً أمام المحطّة مباشرة، والتي ما إنِ اقترب

منها حتى فُتحَ بابُها ليصحبه الرجلُ إلى داخلها، وما إنِ انْغلق الباب خلفه حتى طلب الرجلُ منه جوّاله، وأخرج جهازًا يشبه جهازَ كشف المتفجّرات بالمطارات، وأخذ يمرّره على جسدِه ليكتشف به أيّ أجهزة تنصّت أو تتبّع، وعندما اطمئنّ بخلوّه من كلّ ذلك أشار للسّائق- الذي اعتدل في كرسيه- لينطلق بالسّيارة، في حين قام الرجلُ بتغمية عيني شريف، وظلّت السيارة تنطلق قرابةَ السّاعة، وأخيرًا نظر شريف نحو رامي ببسمة شاحبةٍ لا تخلو من التردّد، وقال له:

- أهلًا بك يا رامي.

***

أخذَ شريف يتطلّع لوجْه رامي قرابةَ الرّبع ساعة، قرأ فيها كلَّ ما يدور في ذهنه من رسائلَ يريد توصيلها إليه، لقد بدأ الاثنان في فهْم بعضهما البعض دون أن يتحدّثا، واستطاعَ شريف- بمقدرته الخارقة والجديدة، والتي يغزوها الخوفُ والقلق الذي يقعُ فيه الآن- أنْ

يقرأ رسالةَ رامي إليه بأنّه يجب الإفلات من الرّقابة الصّارمة التي تقع عليهما الآن، وألّا ينخدع بكونهما وحدهما.

هزّ شريف رأسه متفهّمًا، وأخذ يجول ببصرِه في أنحاء الغرفة حتى وقعت عيناه على المصباحِ الأنيق الذي يقع أعلى قائمٍ معدني كديكورٍ يزيّن الغرفة وليس للحاجة الفعلية إلى إضاءته، ابتسمَ وقد تواردت لذهنِه الخطة التي ستجعله يفلتُ تمامًا من الرّقابة لعدّة دقائقَ يمكنه فيها أنْ يملي على رامي خطّته التي وضعَها للهروب بعد أن تدارس كلّ شيء أثناء اقتياده إلى داخل المبنى، وبعقلِه المرتّب جيدًا وضعَ الخطّة التي تتناسب مع ما وجدَه.

ذهبَ شريف إلى القائم المعدني القويّ وتحسّسه، ونظر إلى الكابل الكهربائي الخارج منْه إلى القابس المتّصل بمصدر التيّار الكهربي، ذهب إلى قابس الكهرباء ونزعَه من الجدار، وبسرعة قام بقطعِ قطعةٍ من الكابل

بأسنانه قُرابة العشرين سنتيمتر، وقام بتعرية الطّرفين، وصرخَ في رامي قائلًا:

– خذْ هذا القائم واجْعلْه حاجزًا خلف الباب يعطّل فتحَه وأغلق كلّ مزاليجه، لم يكن رامي يدري بما يريدُه شريف جرّاء ذلك، ولكن تحرّك بسرعة منفّذًا كلّ ما أمر به، سحبَ القائم المعدني ووضعَه بزاويةٍ مائلة تجعلُ فتحَ الباب ودفعَه للداخل عمليّةً صعبة جدًّا، وأغلق كلّ المزاليج الخاصّة بالباب، كان شريف ممسكًا بطرفي الكابل ومقرّبًا إيّاهم إلى فتحتي قابسِ الكهرباء بالجدار، ومنتظرًا أن يُتِمّ رامي ما أمرَه به، وعندما انْتهى رامي في لمحِ البصر صرخَ فيه شريف بأن يبتعدَ تمامًا عن المنطقة التي تقع خلف الباب، وبسرعة قامَ بدفْع طرفيِ الكابل المكشوف إلى الفتحتيْن؛ فأطلقتا شرارةً وانقطع التيّار الكهربي عن الغرفة تمامًا، ذهب شريف إلى موْضع رامي، وقال له:

– الآنَ تعطّلت كلّ وسائل الرّقابة في هذه الغرفة بعد قصور التيّار الكهربي الذي فعلته، ولنْ يمكنهم إصلاحه إلّا بنزع طرفي الكابل الذي وضعته، سيأتون بسرعة لمحاولة فتح الباب، وأمامنا الوقتُ الذي سيستغرقون في فتحِه؛ لذا استمعْ لخطّتي جيدًا واحفظها في عقلِك بسرعة.

***

ازدادَ القرْعُ قوةً وسرعة على الباب الموصَدِ بإحكام من الداخل، وهتفَ الزعيم قائلًا:

– سنطلِقُ النارَ فورًا إذا لم تفتحا الباب.

صاحَ شريف قائلًا:

– حسنًا، سنفتح البابَ لا تطلقوا النار.

جذبَ شريف القائمَ المعدني، وفتح البابَ بهدوء ليجدَ الزعيم ممسكًا بمسدّس ضخم وبرفقتِه رجلان مفتولا العضلات في مواجهته، فقال في تردّد:

- لا داعي لكلّ ذلك.

جذبَه الرجلُ من ساعده بقوّة، ووضع المسدسَ بمنتصف جبهته، وقال له:

- هل توارَدَ لذهنك لحظةً أنه يمكنك الهروبُ منّا ثانية؟

ابتلعَ شريف ريقَه بصعوبة، وتتابعَ انغلاقَ جفنيه بسرعة وتردّد، وقال:

- لم يكنْ ذلك لأجل الهروبِ مطلقًا.

قال الرجلُ بمنتهى الغضب:

- أعلمُ مَن هُم على شاكلتك منذُ المواجهة السابقة، تظنّ أنّك واسع الحيلة، لقد كانتِ الأمور على ما يُرام حتى ظهورك، ولهذا يجبُ عقابك حتى لا تتكرّر منْك هذه الألاعيب مرّة أخرى.

- لا عليك، فلتنزل بي عقابَك الذي تراه مناسبًا.

همّ الرجلُ أن ينطق بجُملةٍ أخرى غاضبة، ولكنْ قاطعه صوتُ رامي المرتَعِد قائلًا:

– ولكنّي بالفعل في حاجةٍ إليه، بعد البحث في السّيرفرات لديكم فهي تحتاج تعاوننا، وهذا سببُ اسْتدعائي له.

نظرَ الرجلُ نحْوه بقوّةٍ جعلته يزدادُ ارْتعادًا، وقال:

– سيعودُ إليك، ولكن بعد أن يتعلّم الأدب.

وأشارَ لرَجُليْه ليقتادا «شريف» الذي سارَ معهم بمنْتهى السّلاسة ودونَ أيّ مقاومة، نظرَ الرجلُ مجدّدًا نحو رامي، وقال له:

– الآنَ أخبرني لمَ قام ذلك المشاكسُ بفعلته الغبيّة هذه؟ ولمَ طاوعتَه فيما أمرك به؟

قال رامي بصوتٍ متقطّع:

– كنتُ أثقُ أنّ هدفه ليس الهروبَ لاستحالة ذلك، لذا خشيتُ إن لم أطاوعه ألّا يتعاونَ معي في القادم، وحسبَ كلامه فقد كان يريدُ المعرفة منّي ما الذي يحدث هنا دونَ رقابة منكم.

- وبماذا أخبرته؟

- أخبرته بأنّكم لستم كما السابق، وأنّ هذا عمل قدْ يأتينا منه أجرٌ جيّد، ولا خوف منْه أو منكم.

وضعَ الرجلُ يدَه على كتف رامي الذي ارتجفَ بقوّة كأنّما مسّه تيارٌ كهربي، وقال له :

- أحسنتَ يا رامي، لقد راهنتُ عليك وأثقُ بأنّي سأكسب هذا الرهان، فلا تجعلني أندمُ لفعلي ذلك.

هزّ رامي رقبته بتكرارِ دلالة الموافقة، والخوفُ يتقاطر من ملامحه، واستطردَ الرجلُ قائلًا:

- يمكنُك الآنَ الرّاحة حتى يأتيك رفيقُك غدًا.

قال رامي بصوتٍ متقطّع وشاحب:

- حسنًا.

***

كان شريف مبَعْثرَ الشعر، منتفخَ العينين، وإحداهما متورّمة بقوّة، ويحوطها الكدمات السّوداء بشكل

مُرْعب، شهقَ رامي فوْر رؤيته، في حين نطقَ الرجلُ المرافق له قائلًا:

– لقد شفعَ لك صديقُك رامي هذه المرّة، لو تكرّرت منك تلك المحاولات الساذجة التي لن تنجحَ أبدًا؛ وقتها ستكون الأخيرة في حياتك.

بصوتٍ متحشْرِج ردّ شريف قائلًا:

– لنْ تتكرّر أبدًا.

هزّ الرجل رأسَه برضا، وقال:

– هذا أفضلُ لك.

وأغلق عليه الباب وانطلق.

كادَ رامي يبكي وهو يتفحّص «شريف» الذي يظهر عليه الأذى الكبير، وهمّ أن ينطق بجُملةٍ ولكنْ أوقفه شريف بنظرتِه الصّارمة التي أدركَ معناها على الفور، والتي تعني توقّف ولا تضيّع ثمرةَ كلّ هذا!

فهزّ رامي رأسَه بأسى، وقال له:

– الآن هل أنتَ مستعدّ للعمل؟

- نعم، هيّا بنا.

جلسا معًا أمام الحاسوب، وفتح رامي السّيرفرات وأخذ يشرح لشريف ما وجده ويتناقشا بصوتٍ عالٍ حرصًا أنْ يصلَ صوتُهما مسامعَ الرّقابة الإلكترونية المفروضة عليهم، وبعد ساعةٍ صاح فيه شريف قائلًا:

- أريدُ تشغيلَ بعض الأغاني أثناء عملي.

همّ رامي أن ينظرَ نحوه مندهشًا، ولكنْ كتمَ كلّ انفعالاته وقال له:

- افعلْ ما تشاء، سأستلقي على سريري قليلًا حتى تنهي تطويرَ هذا الكود.

قامَ شريف بتحميل مجموعةٍ من الأغاني الصاخبة، وقام بتشغيلها بحيث يتمّ تكرارها فوْر الانْتهاء منها جميعًا، فلا يتوقّف الصوتُ أبدًا، ورامي مستلقٍ على سريره مغمضُ العينين ورموشُه لا تتوقّف عن الحركة السريعة، وبعد ساعةٍ أخرى، قام واقفًا وذهب ليهزّ

كتفَ شريف الذي نظر نحوَه باهتمام متمعّنًا فيه دون أن ينطقَ بكلمة، وظلّا على وضْعِهما هذا كأنّما قد تجمّدت بهما الصّورة، شريف جالس على كرسيّه ويمعِنُ النظر في عيني رامي الواقفِ أمامه كأنّما همَا عاشقان يذوبُ أحدهما في عيني الآخر، وبعد عشْرِ دقائق، تفكّك هذا التجمّد، وأمسكا بيدي بعضهما البعض وفتحَا بابَ الغرفة وخرجَا منها ليقفا أمامَ الباب برهة، أغمض رامي عينيْه في حين أخذَ شريف يتطلّع يمينًا ويسارًا، ولم يظهر أحد، فجذبَ يدَ رامي ليتحرّكا ناحية اليسار ليبلغا آخرَ الرّدهة، همّ شريف أنْ يفتحَ الباب، ولكنْ جذبَه رامي بقوّة وهو يشير إلى باب الغرفة المجاورة جهة اليمين دون أن يفتح عينيه، أو أن ينطق بحرف، بسرعة مدّ شريف يدَه وفتح باب الغرفة، ودخل إليها وهو يجذب رامي معه، وأغلقه بسرعة بلا صوت، وظلّا خلف الباب وقد وصل إلى سمْعِهما صوتُ أحد الأبواب يُفْتح ثمّ يُغْلق، وبعدها يبتعد صوت الخطوات مع حركةِ صاحبها، ظلّ رامي مغمضَ العينين اللتيْن

زادت حركتهما ثمّ تنهّد بقوّة، وأشار لشريف بالحركة دونَ أن يفتح عينيه، خرجَ شريف من الغرفة وفتح باب الرّدهة لينسلّ منه بصحبة رامي الذي أشارَ نحو بابٍ يتوارى خلف عمودٍ كبير بارز بقوّة، ذهب نحوه شريف ليجده بابًا يودّي إلى سلّمٍ ضيّق جدًّا، ففتحه وخرجَ منه، وهُنَا تنهّد رامي وفتح عينيه، ونظر نحوه بفرحةٍ وامتنانٍ قائلًا:

- يا لَك مِن عبقريّ، لقد نجحتِ الخطّة رغم بساطتها.

أشار شريف بأصبعِه أمامَ فمه، وهمسَ له وهو يجذبه بعيدًا عن الباب قائلًا:

- لا تتعجّل؛ ما زلنا في عرينهم.

قال رامي بفرح:

- لقدْ خرجنا عن نطاق رقابتهم الآن، لقد فعلتُ ما طلبتَ أنتَ تمامًا، وقد كنتَ على حقّ بالفعل، قمتُ باختراق نظامهم الألكتروني الذي يتحكّم في

كلّ وسائل الرقابة، وبعدَ تسجيل ربعِ ساعة لكلّ ما يدور قمتُ بتشغيله بشكلٍ متكرّر، بحيث لن ترصدَ كاميراتهم ولا أدوات التّسجيل أيّ جديد، وإنّما ستظلّ تبثّ ما تمّ تسجيله فقط، وبهذا تحرّكنا دون أن يتمّ رصدنا، ولأجل حرصك الزّائد فقد تجنّبنا الكلام، وعرفت أنتَ بكلّ ما عندي بقراءتك لما يدور بعقلي، والآن وبعدَ أن خرجنا عن سيطرتهم من السّهل أن نفرّ مِن هنا.

احتفظَ شريف بصمتِه المتوجّس، وهمّ بأنْ يهبط درجات السلم، ولكنْ عند أوّل منحنًى وجدَ جدارًا يُغلق طريقَ النزول من السّلم تمامًا، فعقد حاجبيه مفكّرًا، وقال رامي بتوتّر:

– ما هذا!! كيف سيمكننا الخروج؟

قال شريف بهدوء:

– سنصعدُ لأعلى؛ قد نجدُ وسيلةً للخروج، المهمّ أن نبتعد عنهم.

وبتوافقٍ غير متّفق عليه صعدا مُسْرعين وهُما ينشدان الهروبَ بأسرع ما يكون عن مصدرِ الخطر، كانت كلّ الطّوابق التي يصلونَ إليها لا تحوي سوى أبوابٍ مشابهة للبابِ الذي خرَجَا منه لعدّة شققٍ سكنية، يبدو أنّ هذا المبنى له تصميمٌ عجيب، سلّمه بالخلف كأنّما هو سلّمُ هروب، والمصعد الإلكتروني في موضعٍ بعيدٍ عنه، على عكس المعْتاد مع كلّ المباني المتعارَف عليها، ولكنْ إذا كان هذا هو سلّمَ هروبٍ فلم تمّ غلقه عند الطابق الذي يسكنه هؤلاء المجرمون؟

حتمًا هُم مَن فعلَ ذلك لغاية تأمينيّة لا يدركها شريف ورامي الآن، تقطّعت أنفاسهما وقد صعدا ما يقرب الطّوابقَ العشرة، والتي كان بعضُها مظلمًا تمامًا، كانَا يتحسّسان فيها موضعَ أقدامهم، نطق رامي قائلًا:

- ماذا تتوقّع أن نجد عند السطح؟

- لستُ أدري، قد نجدُ مهبطًا آخر نصلُ به إلى المصعد الإلكتروني، أو حتى نقطة اتّصال مع العمارة المجاورة.

اكتفَى رامي بهذه الإجابة المنطقيّة، المهمّ أن يفلتَ الآن من قبضة تلك العصابة قبل اكتشاف الخدعة.

وأخيرًا، وصلا إلى الباب المؤدّي إلى السطح، فجذب شريف المزلاجَ القويّ وفتحه ليرى ضوءَ النهار لأوّل مرّة منذ مجيئه إلى رامي، استنشق الهواءَ بعمق، وخطا بقدميه إلى سطحِ المبنى، ولكنْ ما إنِ استقرّ به حتى تجمّد في موضعه، وفوْر أنْ دخل رامي خلفه حتى شهقَ برعبٍ فوْر رؤيته لما ينتظرهما، في حين نطقَ الزّعيم الذي يتوسّط رَجُليْه وأحدُهما ممسكٌ بمسدّسه، وهزّ رأسَه بأسى قائلًا:

- كلّ هذا الوقت لصعود السلّم!

بكى رامي بقوّة، وجثَا على ركبتيه وهو يقول:

- أرجوكَ لا تقتلنا.

في حين عقدَ شريف حاجبيْه بقوّة، واحتفظ بصمتِه، فنطق الزّعيمُ مستطردًا:

– للأسف يا رامي، ما زلتَ تتّبع هذا المخادعَ الذي لا أدري في أيّ عمل يقوم باسْتغلال مواهبِك بلا مقابل، كيف تثقُ به رغم خداعِه المستمرّ لك؟

قال رامي من بين دموعه:

– أقسمُ لك لنْ أتبعه في أيّ أمرٍ قادم.

قال شريف بجمود:

– كيف اكتشفت الأمر؟

ضحكَ الرجلُ متهكّمًا وقال:

– منذُ خدعتك الأولى علمتُ بأنّك لن تكفّ عن المحاولة، وأنك واسعُ الحيلة، ما يدْهِشني هو اتّباع رامي لك هكذا رغمَ كلّ ما تفعله به، درست الأمرّ من البداية حتى النّهاية، وربطت الخيوطَ ببعضها البعض، وعلمت أنّك بقدرتك الفذّة وعبقرية رامي حتمًا ستتخطّيان وسائلَ رقابتنا العادية، وكان يهمّني معرفة وسيلة تخطّيها، فوضعت أجهزةَ إنذارٍ عند كلّ

مخرج، وفوْرَ خروجكما انطلقت الأجهزة، والغريب أنّ الشّاشات لم تُظْهر شيئًا، وعندما أدركْنا الخدعة وأنها تقوم ببثٍّ متكرّر، كنتما قد ابْتعدتم، فجئنا إليكما بأسرعِ طريقةٍ عبر المصعد هنا، كلّ ذلك كشف لي قدرة رامي المتفرّدة والعبقرية على تجاوز كلّ شيء، ولكنْ هناك أسرارٌ لا أدري تفسيرَها حتى الآن، لمَ خدعتَ رامي وأوْهمتَه بأنّ هناك مَن يترقّبه قبل أن نتحرّك ونأتي إليكم هنا في مصر؟

كان رامي جاثيًا على ركبتيْه، والدّموعُ تسيل من عينيه بصمتٍ ولم تسعده كلمات المدحِ التي انسابتْ من فم الرّجل لتشيدَ بعبقريته وقدراته الفائقة، والتي يظهر أنه حتى الآنَ لا يدري عن سرّها شيئًا، ولكن ما إنْ سمع الجملةَ الأخيرة حتى رفع رأسَه فجأة وعقدَ حاجبيه وقال :

– ماذا؟!

بسطَ الرجلُ كفّيه ببساطة وقال:

– بالطّبع هوَ مَن أوْهمك بكلّ ما سبق واتّهمتنا به ولم يكنْ لنا يدٌ فيه، فما هي وسيلة السّيطرة عليك التي كان يستفيدُ بها من ذلك؟

ابتلعَ شريف ريقَه بصعوبة، وهو يتجنّب النظرَ نحو رامي، الذي قال له بصوتٍ أجشّ:

– هل ما يقولُه صحيح، وأنّك كنت تخدعني بالفعل لتحقيق مآربك؟!! هل كانت تلك الوريْقة والرّجل وسط المزارع كذبًا لتستغلّني وتدفعني لفعل ما تريد؟

كان شريف في حيرةٍ قويّة من أمره، لقد قالها من قبْلُ لأستاذه أنّه يكره الكذب، والذي حتمًا لن يأتي بخير، ولكنْ في هذا الموقف الدّقيق هل يستمرّ في الكذب أم يلتزم الصّدق؟ تُرى ما هي العواقبُ لكلٍّ منهما؟ وما هو أخفّ الضّررين، ولكنّه لا يدري ماذا سيحدثُ إذا صدّقَ رامي القولَ أو كذّبه؛ فهو هنا مهدّدٌ ولا مهرب له بمثل كلّ مرّة، وقد تكون هذه هي لحظاتِه الأخيرةَ في الدنيا!

ولأنّه لا يريد أن يختمَها بالكذب؛ هزّ رأسه وقال بمرارة:

– نعمْ يا رامي، للأسف.. كذبتُ عليك بالفعل، وأنا نادمٌ على ذلك، وآسفٌ جدًّا له.

قامَ رامي واقفًا، وقد توقّفت دموعُه، وقال له بخشونة:

– الأمرُ مثلَ ما قال هذا الرجلُ بالفعل، أنت وعلماؤك المجانين كنتم تستغلّون مهاراتي بشكلٍ مجّاني، وبكثيرٍ من الخدع والأكاذيب، ولكنّهم هنا وعدوني بالرّاتب الكبير، وكانوا معي في مُنْتهى الوضوح، حتى في تهديدهم لي في حالةِ عدم التعاون.

همّ شريف أنْ يهتف به محذّرًا من مغبّة ذلك، ولكنِ اسْتبقَه رامي ونظر نحو الرجلِ وقال له:

– صدقًا هذه المرّة أنا مستعدٌّ تمامًا للعمل معكم بمنتهى الإخلاص، وبلا محاولات للهروب.

برقتْ عينا الرّجل، واتّسعت ابتسامته وقال:

– نعْمَ الرّأي يا رامي، أنتَ كنزٌ حقيقيّ لنا، لن يمكننا التّفريط فيه.

ثمّ أشار لأحدِ الرّجال ليصحبَ رامي إلى أسفل، سارَ رامي بجواره، ورأسُه تشتعل بالأفْكار، حتمًا سيقتلون «شريف» الآن، رغم غضبه الشّديد منه، ولكنْ لا يتحمّل ولا يقبَلُ بذلك، ستظلّ هذه الذّكرى تقضّ مضجعَه، وتحرق قلبَه مدى حياته إنْ تركه لمصيره بهذه الخسّة، فرغمَ كلّ شيء فقد أنقذَه شريف كثيرًا فيما سبق، ولهما الكثيرُ من المواقف معًا، فتوقّف، وقال للزعيم بتردّد:

– ماذا ستفعلُ به؟

قرأ الرجلُ كلَّ ما يدور بخلَدِ رامي، فهزّ رأسَه وقال:

– لا تقلق؛ سنقوم بتربيتِه، ونطمئنّ بعدم تأثيره المستقبلي عليك مرّة أخرى.

قال رامي بتودّد:

– رجاءً لا تقتله.

ابتسمَ الرّجلُ وهزّ رأسَه دون ردّ، ومدّ المصاحب لرامي يدَه ليجذبه من ذراعه، فسار معه والمرارةُ في حلقِهِ، وهو شبه متيقّنٍ بأنّ «شريف» لن يفلت هذه المرّة بالفعل.

وما إنْ غاب رامي مع رفيقِه حتى التفتَ الرّجلُ نحْو شريف، وقال له:

– هل تعلم أنّ قتلك لن يكفيني؟

نظرَ شريف نحْوهم بعينٍ دارسة هذه المرّة، كان الزعيم وبرفقتِه رجلٌ آخر، وأيديهما مجرّدة بلا أسلحة، وذلك بعد أنْ أغمد السّابق سلاحَه في جرابه قبل أن يصحبَ رامي لأسفل، يبدو عليهما الاطمئنانُ التّامّ لقدرتهما وغلبَتِهما على شريف، وكانت هذه هي النّقطة التي بنى عليها شريف خطّةَ هروبه هذه المرّة،

بعقلٍ حسابي فريد درسَ عددَ الثّواني التي يحتاجونها لإخراج أسْلحتهم ووضْعِها في حالة الإطلاق بعد نزع صمام الأمان ثمّ التّصويب نحوه، سوف تستغرقُ خمسَ ثوانٍ على الأقلّ، والمسافة بينه وبين أقربِ سور بجواره حوالي سبعةُ أمتار؛ لذا- وبلا تضييع للوقت- انطلقَ كالسّهم يسابق الثّواني نحو السّور الذي رصده كأقربِ نقطةِ هروب، تجمّد الرّجلان لثانية وبضع لحظاتٍ، ثمّ صرخ الزعيم فيه بالتوقّف، ومدّ الرجلُ الآخر يدَه نحو سلاحه ليخرجه ولكنْ قبل حتّى أن ينزعَ صمام الأمان كان شريف قد تجاوزَ السّور ملقيًا بنفسه من أعلى المبنى بلا ذرةِ تردّد.

اندفعَ الرّجلان إلى السّور القصير لسطْح المبنى لينظرا للأسْفل ليريا ماذا حدث، فلم يخطرْ ببالهما لوهلةٍ أن يُقدِم شريف على هذا الجنون!

ولكنْ وجدا الصّمت!

السّيارات المرتكنة بجوار سور المبنى كما هي، بعض السائرين من بعيد، دراجة بخارية عند نهاية الطريق،

ولا أثرَ لشريف، وإنْ كان هناك كابلٌ كهربي كبير يهتزّ بقوّة، وما زالت بعضُ الشّرارات الصغيرة تنطلق منه بالمَوْضع المفترض به سقوطُ شريف، حتمًا اصطدم شريف به وصعقَه بقوّة، ولكن إذا كان السّقوط من هذه المسافة الكبيرة يصحبُه صعقٌ كهربي شديدٌ ومباشر من نصيب شريف؛ فحتمًا قد قضى عليه!

فأينَ جثته؟!

هل يُعقَل أنّها قد تبخّرت على أثر الصّعق الكهربي الكبير هذا؟!

ولكي يتمّ التأكّد من كلّ شيء أشار الزعيم للرّجلِ المرافق له بأنْ يهبطَ مسرعًا لمعاينة المنطقة بأسفل، فقد تكون الجثةُ متواريةً خلف أيّ شيء، ولا يمكن رؤيتها بسبب هذه المسافة البعيدة!

ولكنْ بعد عدّة دقائق، كان الرجلُ يضربُ كفًّا بآخر، وهو يتعجّب لاختفاء شريف الغامض والعجيب.

***

وقفَ القائدُ العسكري الخارق ممشوقَ القوام باعتدادٍ كبير، وهو ينظرُ بترقّب نحو رجليْن يرتديان الزيّ العسكري، ومعهما آخرُ يرتدي البالطو الأبيض، والأخير يشرح بحماسٍ قائلًا:

- تجربتي هذه المرّة ستحقّق المستحيل، وأعدُك بأنْ تمتلك السلاحَ السريّ الذي وعدت به في خطبتِك الأخيرة قريبًا جدًّا.

أشارَ القائد له بأنْ يقوم بالشّرح والتجربة، فذهب الرجلُ نحو لوحة تحكّم، بها الكثيرث من المقابض والأضواء والأزرار، وجلس خلفها وقال:

- بعدَ صُنع مصائدَ للصّواعق وتفعيل استخدامها لشحن أجهزتنا شحنًا كهربيًّا فائقًا، فيُمكننا الآن...

كان الرجلُ يجذبُ ذراعًا ليضعه في حالة الاستعداد لتشغيل جهازه مع الشرح المسْتَفيض والمتأنّي الذي يقوم به، ولكنْ بمجرّد سحْب هذا الذّراع لأعلى انطلق صوتُ انفجارٍ كبير بالقاعة؛ جعل القائدَ الكبير

ينحني قليلًا كأنّما يتجنّب قذيفةً موجّهة نحوه، في حين قام الرجلان بحركةٍ مدْروسة تدرّبا عليها بحيث أصبحَ أحدُهما خلفَه والآخر أمامَه، ويعطيانه ظهريْهما ويصوّبان مسدسيْهما نحو عدوّ محْتَمل، وفجأة ظهرَ بريقٌ عجيب على شكل جسمٍ بيضاوي كبيرٍ معلّق في هواء القاعة الفسيحة يبتعد عن الأرض قرابة المتر، اعتدلَ القائدُ العسكري في وقفته ببطء، وهو ينظر نحوه بدهشةٍ كبيرة، وقام الرجلان بالوقوف أمامَه متمسّكين بسلاحيهما بقوّة، وهما ما زالا متربّصين بالعدو الغامض، في حين تركَ العالِم ذو البالطو الأبيض لوحتَه، ونسيَها تمامًا ووقفَ متّسعَ العينين فاغرًا فاه بذهولٍ كبير، وقد سحب الجسم البيضاوي كلّ وعيه وتركيزه نحوه، كان هذا الشيء بحجم يُقارب المتر ونصفَ المتر في عرضه، والمتريْن في الطّولِ، لونُه أرجواني ويتغيّر كلّ دقيقة إلى الأخضر الفسفوري الخفيف لمدّة ثانيتيْن ثمّ يعودُ إلى الأرجواني مرّة أخرى.

حدّه كأنّما هو خطٌّ دقيق لامع، ولمن يدقّق فيه يجدُ آلافَ الصّواعق تتصارع بداخله!

وأخيرًا تألّق بقوّة، ثمّ اختفى فجأة، ولكنْ سقط منْه جسدٌ ضئيلُ الحجم، رفع ذهولَ الجميع لأقصى حدٍّ ممكِن، في حين اعتدل صاحبُ هذا الجسد وهو يشعرُ بصداع هائل يكادُ يفتكُ بجمْجُمته، وبجسدِه الذي شعرَ كأنما قد تفتّت، وما زالت كلّ خليّة فيه تؤلمه، أخيرًا حفظ اتّزانَه واقفًا، وبدأ يعتادُ الرؤية قليلًا، وأخذتِ الغشاوة تنزاح عن بصره رويدًا حتى رأى الواقفين قُبَالته، ولكنْ ما إنْ رأى القائدَ العسكريّ بشاربه القصير والشّهير حتى فرَكَ عينيه بقوّة، وقد نال الذّهولُ منه هو هذه المرّة، وقال باللغة العربية التي يجهلها الواقفون:

- هتلر! مستحيل!

تمّت بحمْد الله

انْتظرونا في العددِ القادم بإذْن الله

ومزيد من التّشويق والخيال والإثارة.